



منشورات جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الانسانية الثالثة

أملية مقرر

تيارات فلسفية

في قسم علم الاجتماع

لطلاب السنة الأولى

د. امجد بهجت دنوره

العام الدراسي 2024/2023

المحتويات

الفصل الأول: مدخل إلى التيارات الفلسفية

الصفحة 1	البحث الأول: مكونات المذهب الفلسفي
الصفحة 4	البحث الثاني: بنية المذهب الفلسفي
الصفحة 6	البحث الثالث: توالد المذاهب الفلسفية
الصفحة 7	البحث الرابع: مراحل الوعي الأوروبي

الفصل الثاني: المصادر اليونانية للفلسفة الحديثة

الصفحة 10	البحث الأول: المصادر اليونانية للفلسفة الحديثة
الصفحة 38	البحث الثاني: حركة الإحياء
الصفحة 42	البحث الثالث: حركة النهضة
الصفحة 44	البحث الرابع: النزعة الإنسانية

الفصل الثالث: الاتجاهات الكبرى في الفلسفة الحديثة:

الصفحة 49	البحث الأول: الاتجاه العقلاني
الصفحة 62	البحث الثاني: الاتجاه الواقعي
الصفحة 70	البحث الثالث: الاتجاه التجريبي
الصفحة 82	البحث الرابع: الاتجاه المثالي

الفصل الأول: مدخل إلى التيارات الفلسفية

الفصل الأول مدخل إلى التيارات الفلسفية

مقدمة:

نظرا لارتباط الفلسفة الأوروبية بأسماء الأشخاص، فقد بلغت عبقرية الأفراد وإبداعات الفلاسفة إلى حد أن أصبحت فلسفاتهم مذاهب تزداد ظهورا ورسوخا كلما تقدم الفكر والوعي الأوروبي، خاصة في عصر الذروة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، والنصف الأول من القرن التاسع عشر. وقد كانت هذه المذاهب الفلسفية بديلا عن الأنساق القديمة التي مثلتها الكنيسة خاصة ثم نوعا ما وأرسطو طوال العصور الوسطى. وكانت الغطاء النظري الذي قدمه الوعي الأوروبي للواقع بعد عصر النهضة.

هذا، وإن كان لكل مذهب فلسفي عناصره ومكوناته، نظرياته وأسسها، مناهجه وتطبيقاته، مقدماته ونتائجه، كما إن كان لكل مذهب بنيته الثلاثية في الهدم والبناء والجانب الضمني المستتر فيه، أو الدافع إليه؛ فإنه من هذا الاعتبار فسنحاول الحديث عن أهم مكونات المذهب الفلسفي، ثم عن بنيته العامة، ثم عن كيفية توالد المذاهب الفلسفية، وأخيرا، بصفة عامة، عن أهم مراحل الفكر الأوروبي، قبل أن نتطرق لكل مذهب فلسفي على حدة.

أولا: مكونات المذهب الفلسفي:

المكونات هي العناصر التي يتكون منها كل مذهب، والنظريات التي يضمها والمباحث التي يقوم بها، ومجموعة الآراء والنظريات التي ينتظمها. ويضم كل مذهب مكونات ثلاثة: نظرية في المعرفة، نظرية في الوجود، نظرية في القيم.

أ- نظرية المعرفة أو "الإبستمولوجيا": تبحث في وسائل المعرفة وتجيّب عن سؤال: كيف

أعرف ؟ وتضم تحليلا للمعرفة الحسية والمعرفة العقلية والمعرفة الذوقية والمعرفة التاريخية.

- فقد يرد الحس إلى العقل فينشأ المذهب العقلاني.
- وقد يرد العقل إلى الحس فينشأ المذهب الحسي.
- وقد يقبل الذوق أو الوجدان فينشأ المذهب الحدسي أو الجمالي.
- أما المعرفة التاريخية، فقد يقبلها البعض وقد يرفضها البعض الآخر نظرا لعدم استقلالها وارتباطها بالحس والعقل في شروط يقينها ومقياس صدقها.

ب- نظرية الوجود أو "الأنطولوجيا": إجابة عن سؤال: ماذا أعلم ؟ وتضم تحليلات للموضوعات في العالم الخارجي المتوارثة منذ طبيعيات أرسطو مثل الحركة والزمان والمكان والصورة والمادة.

ج- نظرية القيم أو "الأكسيولوجيا": إجابة عن سؤال: ماذا أفعل ؟ بعد الانتقال من الخارج إلى الداخل، من الطبيعة إلى الإنسان، من المعرفة إلى الأخلاق، من النظر إلى العمل.

د- أما المبحث الرابع فهو الدين: أو المقدس، إجابة عن سؤال: ما أعتقد ؟ ما هي قواعد الإيمان ؟ بعد أن تحول الوعي الأوروبي من الدين إلى العلم، من الوحي إلى العقل، من المعطى القبلي إلى المعطى البعدي. فالإصلاح الديني في القرن الخامس عشر لم يقض على الدين في ذاته ولكنه أعطى تأويلا أخذ في الاعتبار معطيات العصر الجديد ونشأة القوميات.

1- استعراض بعض الأسماء الفلسفية لبيان تناولها لهذه المباحث:

- رنيه ديكارت René Descartes (1596-1650):

- نظرية المعرفة: "مقال في المنهج"، "قواعد لهداية الذهن".

- نظرية الوجود: "التأملات في الفلسفة الأولى" (مثلا خلق العالم وخلود النفس).

- نظرية القيم: "مقال في الإنسان".

- الدين: "في المسألة الثالثة في أن الله موجود".

- باروخ اسبينوزا Baruch Spinoza (1632-1677):

- نظرية المعرفة: "رسالة في إصلاح الذهن".

- نظرية الوجود: "الأخلاق".

- نظرية القيم: "رسالة في الانفعالات".

- الدين: "رسالة في اللاهوت والسياسة".

- إيمانويل كانط Emmanuel Kant (1724-1804):

- نظرية المعرفة: "المنطق"، "نقد العقل الخالص".
 - نظرية الوجود: "المبادئ الميتافيزيقية الأولى"، "نقد العقل العملي".
 - نظرية القيم: "أسس ميتافيزيقا الأخلاق".
 - الدين: "الدين في حدود العقل".
 - فريدريك هيجل **Hegel** Georg Wilhelm Friedrich (1770-1831):
 - نظرية المعرفة: "ظاهريات الروح"
 - نظرية الوجود: "المنطق وفلسفة الطبيعة"
 - نظرية القيم: "أصول فلسفة الحق".
 - الدين: "محاضرات فلسفة الدين".
 - إدموند هوسرل **Husserl** Edmund (1859-1938):
 - نظرية المعرفة: "الأفكار".
 - نظرية الوجود: "التجربة والحكم".
 - نظرية القيم: "أزمة العلوم الأوروبية".
- وتجدر الملاحظة في هذا الإطار إلى أن كل مذهب يضم جانبين: **الأول: نظري منهجي** ، يعرض للأسس النظرية العامة والمنهجية للمذهب. و **الثاني: تطبيقي موضوعي**، يطبق الأسس النظرية في شتى ميادين المعرفة الإنسانية، الأخلاق، السياسة، القانون، الجمال، التاريخ.. إلخ. بعبارة أخرى، يطبق المنهج في موضوعات الفلسفة ومباحثها الرئيسية: المعرفة، الوجود، القيم. ويمكن عرض المذاهب الفلسفة الرئيسية الأربعة عند ديكارت وكانط وهيجل وهوسرل.
- ديكارت: يعرض الجانب النظري المنهجي لمذهبه الفلسفي في "قواعد لهداية الذهن"، ثم يلخص هذه القواعد أربع قواعد في "مقال في المنهج"، ثم يطبقها في "التأملات الفلسفية الأولى" وفي "مبادئ الفلسفة".
 - كانط : يعرض للأصول النظرية والمنهجية لفلسفته النقدية في كتبه: "نقد العقل النظري" "نقد العقل العملي"، "نقد ملكة الحكم". ثم يطبقها في الدين: "الدين في حدود العقل"، وفي الأخلاق: "أسس ميتافيزيقا الأخلاق"، وفي التربية: "تأملات في التربية"، وفي السياسة الدولية: "مشروع السلام الدائم".

- هيغل: يعرض مذهبه النظري ومنهجه الجدلي في كتابه: "ظاهريات الروح" وفي "المنطق"، ثم يطبقه مرة في الفلسفة: "محاضرات في تاريخ الفلسفة"، ومرة في التاريخ: "محاضرات في فلسفة التاريخ"، ومرة في الدين: "محاضرات في فلسفة الدين"، ومرة في علم الجمال: "محاضرات في علم الجمال".

- هوسرل: يعرض مذهبه النظري ومنهجه الظاهرياتي في كتابه "الأفكار"، ويطبقه مرة في المنطق: "المنطق الصوري والمنطق الترنسندنتالي"، ومرة في "التجربة والحكم"، ومرة في الفلسفة "الفلسفة الأولى"، ومرة في علم النفس "علم النفس الفينومينولوجي"، ومرة في فلسفة التاريخ "أزمة العلوم الأوروبية".

ويمكن عرض باقي المذاهب بنفس الطريقة وبيان جانبها النظري المنهجي ثم تطبيقاتها العملية كمشروع معرفي أولا ثم كمشروع عملي ثانيا.

ثانيا: بنية المذهب الفلسفي:

لكل مذهب بنية محددة مطردة تنتظم المذاهب كلها. وهي بنية تقوم على عناصر ثلاثة: الهدم، البناء - كما كشف عنهما المنهج الظاهرياتي في قاعدتي: "الرد" و"البناء". وكما عرضهما ديكرت في مرحلتي: "الشك" و"اليقين". وكانط في: "الظاهر" و"الشيء في ذاته" - وعنصر ثالث وراء عملية الهدم والبناء تكشف عن الدافع أو الباعث أو القصد أو الغاية أو الهدف.

1- الهدم: باعتباره الجانب الأول من المذهب، يقوم بنقض المذاهب السابقة وبيان عيوبها، وبالتالي رفع الغطاء النظري السابق عنها من أجل إفساح المجال لوضع الغطاء النظري الجديد. فبعد تطور الواقع وتكشف بعض جوانبه الأخرى التي لم يتم اكتشافها في المذهب السابق يأتي المذهب الجديد ليلبس الواقع العاري ثوبا جديدا غير الثوب القديم إلى حين. وهكذا ما دام في الوعي الأوروبي قدرة على النقد والتغيير والهدم والبناء.

وقد يكون المنقوض عصرا بأكمله، كما هو الحال مع بداية الوعي الأوروبي ونقد ديكرت و"فرانسيس بيكون" Francis Bacon (1561-1626م) للقدماء، أي الكنيسة وإلى حد ما أرسطو والفلسفة المدرسية.

ولا يكاد يخلو مذهب فلسفي من جانب نقدي لمذهب سابق أو معاصر حتى يحدد نفسه أولا عن طريق النفي والسلب.

*فديكارت: ينقد القدماء، أي الفلسفة المدرسية. *و بيكون: ينقد "الأرغانون القديم".

*وسبينوزا: يقوّض الحكم الإلهي اليهودي وحرفية النصوص الدينية وقدسيتها في التراث اليهودي القديم. *و باسكال Blaise Pascal (1623-1662م) ينقد الجزويت ويدين انتهازياتهم. *و ليبتنز Leibniz (1646-1716م) ينتقد جون لوك John Locke (1632-1704م) واعتباره الحس مصدر كل شيء بما في ذلك العقل. ويكتب "المحاولات الجديدة" رداً على "محاولة في الفهم الإنساني" للوك. *وكانط: ينتقد شك دفيد هيوم David Hume (1711-1776م). *وهيغل: يرفض آلية كانط والفلسفة النقدية. *و هوسرل: يرفض مادية وتجريبية علم النفس. *و برغسون Henri Bergson (1859-1941م) عقلانية المذاهب المثالية ومادية المذاهب التطورية.

2- البناء أو التكوين: وهو الجانب الثاني الذي يقوم عليه المذهب، وذلك بإعادة صياغة مذهب جديد بناء على أخطاء المذهب المنقوض لإكمال جوانب النقص فيه، وإبراز ما خفي عنه، آخذاً في الاعتبار المكتسبات الجديدة للوعي الأوروبي. وكمثال على ذلك: أن "أنا أفكر" Cogito عند ديكارت جاءت ضد "أنا أؤمن" Credo في العصور الوسطى. و"الحس" عند برغسون في مقابل "العقل" عند العقليين و"الحس" عند التجريبيين. و"الوجود" عند الوجوديين ضد "الماهية" عند المثاليين.

إذاً فالهدم والبناء واجهتان لعملة واحدة. فيمكن قلب الهدم فيصبح بناء، وقلب البناء فيصبح هدماً. ومن هنا أصبحت هذه المذاهب نسبية والحقيقة متغيرة.

وقد كان العنصر الدائم في جدل الهدم والبناء هو روح العصر، والظروف الاجتماعية، والمرحلة التاريخية؛ أي تاريخية الوعي الأوروبي على عكس ما قيل بعد ذلك وروجت له أجهزة الإعلام الغربية ورجناه نحن العرب معها، من إطلاقية الوعي الأوروبي، وشمول الحضارة الأوروبية وعالميتها كممثل للحضارة الإنسانية جمعاء.

3- الهدف غير المعلن: وهو الجانب الثالث المستتر والضمني، الذي تم من أجله الهدم والبناء، الغاية القصوى من التفلسف، البواعث الشعورية. كان هدف برغسون مثلاً الحرص على حياة الذات الباطنية بعد أن تم تفرغها إلى صورة عند المثالية ومادة عند التجريبيين. على كل حال سوف نحاول التعرف على هذا الجانب من خلال دراستنا لبعض المذاهب الفلسفية.

ثالثاً: توالد المذاهب الفلسفية

تتراكم المذاهب الفلسفية ويتوالد بعضها عن بعض. يبني كل فيلسوف لاحق على الفيلسوف السابق، ويكتب عنه أحياناً شرحاً أو قراءة أو نقداً. ولما كانت المذاهب الفلسفية وجهات نظر لأصحابها يشرح بعضها بعضاً لمزيد من التأييد والبرهان، أو يقرأ بعضها بعضاً لمزيد من التأويل والإكمال؛ ظهرت ثلاثة نماذج من توالد المذاهب: إما الاستمرار وإما الاستمرار مع الانقطاع وإما الانقطاع. والحقيقة أنه لا توجد فواصل حاسمة بين هذه النماذج الثلاثة، بل يوجد مجرد تمايز بينهما. ويمكن إعطاء نماذج من توالد المذاهب الفلسفية:

- عن طريق التواصل والاستمرار: من ديكارت إلى ليبنتز، وهو ما عرف بعقلانية القرن السابع عشر. من لوك إلى هوبز إلى هيوم وهو ما عرف بتجريبية القرن السابع والثامن عشر. من "سورين كيركغارد" Kierkegaard (1813-1855م) إلى "مارتن هيدغر" Martin Heidegger (1889-1976م) إلى "جون بول سارتر" J.P.Sarter (1905-1980م)، أو من كيركغارد إلى "كارل ياسبيرس" Karl Jaspers (1883-1969م) إلى "غبريال مارسيل" Gabriel Marcel (1889-1973م) في وجودية القرنين التاسع عشر والعشرون ملحدة أو مؤمنة.

- أما نموذج التواصل والانقطاع: من ديكارت إلى سبينوزا. من الثنائية إلى الأحادية. من كانط إلى "فريدريك نيتشه" F.Nietzsche (1844-1900م). قراءة "كارل ماركس" Karl Marx (1818-1883) لـ "ديموقريطس" و "هيرقليطس" على أنهما مؤسسا الجدل المادي.، قراءة برغسون لـ "أفلوطين" على أنه أول من اكتشف الحدس. قراءة كارل ياسبيرس لـ "نيتشه" مرتين على أنه مؤمن مقنع إنقاذاً للمسيحية من تقويض نيتشه لها.

- والثالث هو الانقطاع والتضاد: والتقابل، مثل جون لوك في "محاولة في الفهم الإنساني" إلى ليبنتز في "المحاولات الجديدة"، دفاعاً عن العقل ضد الحس. من هيوم إلى كانط دفاعاً عن القبلي ضد الشك فيه. من هيغل إلى كيركغارد دفاعاً عن الوجود ضد العقل. من ديكارت إلى سارتر دفاعاً عن الأنا الموجود ضد الأنا المفكر.

فكل المذاهب التي تنتهي بلفظ "الجديدة" مثل "الهيغلية الجديدة" أو "الكانطية الجديدة" أو "الواقعية الجديدة"، إنما هي مرحلة ثانية من الفعل المعدل أو التوسط بين الفعل ورد الفعل.

رابعاً: مراحل الوعي الأوروبي:

بدايات الوعي أو الفكر الأوروبي: عصر الإحياء في القرن الرابع عشر، والإصلاح الديني في القرن الخامس عشر. وعصر النهضة في القرن السادس عشر.

ولكن يمكن تحديد أربع مراحل مركزية لتطور الوعي الأوروبي في العصور الحديثة، حيث تجلّى الجانب العاقل في الوعي الأوروبي في أربع فلسفات على مدى أربعة قرون متتالية: العقلانية في السابع عشر، التنوير في الثامن عشر، العلم في التاسع عشر، وأزمة الإنسان والعلوم الإنسانية في القرن العشرين.

1- كانت العقلانية في القرن السابع عشر، والتي بدأها ديكارت، تتويجاً لنضال العقل في عصر النهضة، فقد أصبح للعقل سلطاناً على كل شيء: الدين، الفلسفة، العلم، السياسة، الاجتماع، الأخلاق، القانون.

2- في عصر التنوير في القرن الثامن عشر تم تفجير العقل في المجتمع، فاندلعت الثورات واهتزت الأنظمة وسقطت العروش، وخرجت أفكار الحرية والعدالة والمساواة والتقدم والإنسان والطبيعة والتاريخ. وتحولت الفلسفة إلى ثورة، والفيلسوف إلى كاتب للجماهير وقائداً لهم. لقد تحول العقل من ثورة في العلم إلى ثورة في المجتمع، ومن انقلاب في النظر إلى انقلاب في العمل، ومن قطيعة في المشروع المعرفي إلى قطيعة في النظام السياسي.

3- في عصر العلم والثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، وقد بلغت المادية في نصفه الثاني مع التطورية الداروينية والماركسية ذروتها. وسرعان ما تحول المشروع المعرفي إلى مشروع عملي، وتم الانتقال من العلم إلى الصناعة، ومن تراكم رأس المال الصناعي عند أصحاب رؤوس الأموال إلى تراكم البؤس العمالي لدى الطبقة العاملة. وكثرت الاكتشافات العلمية والاختراعات الحديثة. وحلت الآلة تدريجياً في محل الإنسان في الإنتاج، وظهرت طبقة العمال، وبدأت بذور الثورات الاشتراكية، وبلغ الحد الاستعماري أوجه.

4- في أزمة القرن العشرين: بدأت تتكشف حدود المراحل السابقة وهدمها رأساً على عقب، والانتقال من العقلانية إلى اللاعقلانية والعبث عند الوجوديين، فانكشفت الأزمة في الوجودية وعدميتها، وفي البراغماتية وإنكارها المعيار النظري للصدق.

- وحدثت الثورة الصناعية الثانية، عصر التكنولوجيا والحاسبات الآلية والهندسة الوراثية في نفس الوقت التي بدأت هموم القرن الواحد والعشرين، والسباق نحو عزو الفضاء.
- وبدأت أزمة الوعي الأوروبي ليس فقط في العلم بل أيضا في الممارسة: حريان علميتان على مدى عشرين عاما، وقنبلتان ذريتان، وترسانة من السلاح تكفي لتدمير الكون. وكما بدأ الوعي الأوروبي مساره في "الأنا أفكر"، فإنه انتهى في "الأنا موجود".

خامسا: خلاصة ونتائج

- 1- لقد طُبعت العقلية الأوروبية بطابع خاص، نتيجة توالد المذاهب الفلسفية وطبقا لقانون الفعل ورد الفعل والتوسط، وتكوّن لها مزاج خاص وأصبح لها نظرة خاصة للأمور.
- 2- فقدت التوازن وضاع منها التكامل؛ وفي كل مرة تضع ما رفضته سابقا أو ترفض ما وضعت من قبل. وأصبح من الصعب عليها إدراك الظاهرة الظاهرة نفسها في جميع جوانبها في آن واحد. أصبحت عقلية وحيدة الجانب أحادية الطرف.
- 3- ونظرا لأنه لا يوجد شيء إلا ويمكن الشك فيه، بحيث لم يعد هناك يقين، وأنه لا يوجد بناء إلا ويمكن هدمه بحيث لم يعد هناك شيء ثابت، اتسم الوعي الأوروبي بالحيرة وعدم الاستقرار، والبحث الدائم عن شيء لا يمكن تثبيته أو التأكد من وجوده.
- 4- أصيب الوعي الأوروبي بالحيرة الدائمة، أصبح قلقا لا يستقر له حال على منهج أو موضوع، نتيجة أو غاية. يحاول مرة بالعقل ومرة أخرى بالحس ومرة ثالثة بالوجدان، وفي كل المرات لا يدرك إلا الأجزاء. (محاولة العلوم الإنسانية الأوروبية في الاعتماد على نموذج العلوم الرياضية والطبيعية في اليقين).
- 5- أصبحت العقلية الأوروبية مكتسبة وفقدت فطرتها ونورها. أصبحت وليدة التاريخ وحصيلة التجربة الأوروبية الخاصة. خسرت نفسها وإن توهمت أنها كسبت العالم.

مقدمة:

يمكن تعريف الفلسفة الحديثة بأنها تلك الفلسفة التي بدأت ملامحها بالظهور مع عصر النهضة في القرن الخامس عشر الميلادي، وكان ذلك من خلال مجموعة من الفلاسفة الذين كان لهم منظور حداثي تجاه التفكير الفلسفي، حيث نحى الفلاسفة الحداثيون منحىً مختلفاً تجاه التفكير المنطقي، ونظرت الفلسفة الحديثة للأحداث الواقعية على أنها نتاج لمجموعة من المسببات المنطقية التي أدت إلى وقوعها، وكان من أهم الأسباب التي دعت إلى ذلك ازدهار العديد من العلوم والمعارف في عصر النهضة، ومن أبرزها علم الفيزياء، وعلم الرياضيات، وعلوم الفلك، كما شهد هذا العصر اختراع العديد من الآلات، ومن أبرزها الآلة الطابعة التي ساهمت في توثيق النتاج الفلسفي الحديث¹.

و الفلسفة الحديثة هي فترة تأسيس لعهد جديد و إحداث قطيعة مع الماضي، من خلال ظهور جهاز مفاهيمي جديد، و كذا تحول على المستوى الإشكالي. و هكذا فقد تم إعطاء الأسبقية في الفلسفة الحديثة لمبحث المعرفة على مبحث الوجود، الذي كانت له الأولوية في العصور السابقة.

¹ كتاب سطور - آخر تحديث: 08:54 ، 14 يناير 2020

...الفصل الثاني

١ - المصادر اليونانية للفلسفة الحديثة

البحث الأول: المصادر اليونانية للفلسفة الحديثة

لقد تمسك الفلاسفة اليونانيون بالعقل، وبالتالي لا من أجل العقل، بل من أجل الوصول إلى المعرفة البعيدة عن السحر والأسطورة طريقهم في ذلك تمحيص كل معطيات تلك الحضارات الأجنبية التي تعرفوا عليها، وذلك من خلال ابتكارهم لآلة فحص الصحيح من تلك المعطيات من غير الصحيح ألا وهو الأرغانون أو المنطق الذين يعدون من مبتكري أسسه ومن محددى أدواته واستعمالاته بمثل هذا التمثيل الواعي لمختلف تلك الحضارات التي سبقتهم وعاصرتهم استطاع اليونان أن يستبدلوا تدريجيا الطقوس اللاهوتية بالممارسات العقلية وأن يجولوا في الكثير من الأحيان العقل إلى الأداة الأولى لفهم الكون والوجود وإلى العمل وفقه فيهما وبمثل هذا كذلك كانت والمعجزة اليونانية التي بلغت أوجها في القرن 5 ق.م التي لم تكن وكما يذهب البعض مجرد جمع لعناصر تلك الحضارات الأجنبية المتباينة بل كانت إضافة لها وإعادة صياغة جديدة لها وصولا لتوجه فكري جديد للإنسانية.

إذا كان تفكير الإنسان القديم أسطوريا ينبني على الميتوس في تفسير الظواهر الكونية والوجودية وتفكيراً شاعرياً يعتمد على الخيال والمجاز الإحيائي، فإن تفسير الإنسان اليوناني كان تفكيراً عقلانياً يعتمد على البرهان الذهني والمنطق الاستدلالي واللوغوس في فهم الوجود وتفسيره. وإذا كان فيتاغوراس هو أول من أطلق كلمة فيلسوف على المشتغل بالحكمة فإن سقراط هو أول من أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض. وقد ظهرت الفلسفة في اليونان وبالضبط في عاصمتها أثينا ما بين القرنين: السادس والرابع قبل الميلاد مكتوبة باللغة الإغريقية مستهدفة فهم الكون والطبيعة والإنسان وسلوكه الأخلاقي والمجتمعي والسياسي وإرساء مقومات المنهج العلمي والبحث الفلسفي والمنطقي. إذا ماهي مميزات الفلسفة اليونانية؟ وماهي أهم الاتجاهات والمدارس الفلسفية التي عرفت الفكر اليوناني؟ وكيف ساهمت في الفلسفة الحديثة؟

ظهرت الفلسفة اليونانية في مدينة "ملطية" بآسيا" تلك المدينة التي أضاءت الفكر الإنساني الذي لم يلبث إن امتد نوره وتوهّج .

ففي "ملطية" في القرن السابع قبل الميلاد، نهض الإنسان ليحطم أغلال الضرورة التي كبلته حيناً طويلاً من الدهر، وخصّص شطراً من حياته للتفكير المجرد من كل القيود، فنظر إلى هذه الطبيعة التي تزخر بالمظاهر المختلفة والكائنات المتنوعة، وأخذ يتفكر في خلقها ومصيرها ويحاول تعليل ذلك الخلق وذلك المصير .

ولعلّ أول ما استرعى نظر الإنسان ودفعه إلى استعمال فكره، هذا التغير الدائب الذي يطرأ على الأشياء والفصول والأزمنة والأحياء بما فيها الإنسان،¹ والذي يجعل كل شيء، أيّاً كانت مرتبته في الوجود، يكون بعد إن لم يكن ويظلّ حيناً من الزمن، قد يقصر أو يطول، ثم ينحل ويتلاشى ولا يكون .

على أن هذا التحوّل للوجود والأشياء لا يعني لدى اليونان أنّهما قد خُلقا بعد أن كانا عدماً وأنهما تعودان إلى العدم، لأنهما حسب بعض فلاسفتهم وجدوا من مادة موجودة بالفعل، ثم استحالوا إلى مادة أو مواد أخرى لا تزال موجودة كذلك .

من هنا فإن هذه الموجودات أو الأشياء التي نراها في الأرض أو في السماء، وبالرغم من اختلاف ألوانها وأشكالها فيما، يرون ليست سوى أجزاء من مادة محددة يطرأ عليها التغير والتحول أو الكون والفساد (La génération et la corruption) ولكنها مستمرة في الوجود.

بذلك كان "طاليس" أول فيلسوف يوناني ارتقى بالنظرة الإنسانية من النظرة التأهيلية (Vision Théologique)، التي ميزت التأمّلات التي سبقتة حول الوجود والتي رأت فيه

¹ أميرة حلمي مطر، الفلسفة عند اليونان، دار المعارف مصر ط2، دت، ص66

مادة لا محدود، أولاً معينة أقرب إلى الفوضى¹ (Chaos) أو (Erèbe) ، نحو نظرة حسية تجريبية، جعلته وكما لاحظ "كارل ماركس" أقرب إلى العلماء التجريبيين والمحدثين .

ولقد حقق طاليس " ذلك بفضل مشاهداته الدقيقة والمباشرة للتحويلات الدورية للطبيعة وللوجود (Physis) التي توصل من خلالها إلى أن الطبيعة تحيا وتنمو، خاصة النبات، بفضل الماء المخصّب (L'eau Fécondante) الذي يروي الأرض ويؤدي بذبك إلى تكوين البخار والسحب والأمطار² .

لكل ذلك قال "طاليس" بأن الماء هو أصل وجود كل الأشياء والأحياء، أي أنه مادتها كما لاحظ أرسطو ذلك في شرحه لفلسفته .

بذلك كان " طاليس " أول الفلاسفة اليونانيين الذي تطرق، وكما يلاحظ "نيتشه" لحقائق ثلاث: أولاً أصل الأشياء أي الأصل الذي تصدر منه الأشياء، ثانياً أنّ كلام "طاليس" عن هذا الأصل كان خالياً من الأساطير، وثالثاً قوله كل الأشياء في الواحد (L'un) وإن كان هذا ليس واضحاً كثيراً في كلامه .

إنّ القول الأول يجعل "طاليس" متفقاً مع أصحاب الكونيات وهذا في نفس الوقت الذي ولا يخرج فيه عن أصحاب النظريات التي قالت بوجود أصل للأشياء قبل الفلسفة .

وإذا كان القول الثاني يخرج "طاليس" عن دائرة هؤلاء الآخرين ويحوّله إلى رجل علم، حيث أنه لا يبحث في أصل الأشياء بحثاً يقوم على الأسطورة، بل يبحث فيها بحثاً ليستند إلى العلم، إلا أنه لو اكتفى بهذا لكان عالماً فحسب .

ولكن "طاليس" يقول إلى جانب كل ذلك " بأن كل شيء واحد " وبذلك أصبح فيلسوفاً كذلك، لأنه ارتفع فوق تعدد الأشياء الحسية جميعاً وقال بأن الكل واحد .

¹ عبد الرحمن بدوي " ربيع الفكر اليوناني ، مكتبة النهضة المصرية ط8، 1979، ص84

² عبد الرحمن بدوي المرجع نفسه ، صفحة نفسها

إنّ هذه النظرة الصوفية، في رأي "نيتشه" لتشكل بداية البحث الميتافيزيقي في الوجود، لأنّ "طاليس" ارتفع من خلالها، عن تلك النظرة الحسيّة الجزئية للوجود، نحو نظرة كلية تقوم على الوجدان وتتخذ الواحد كمصدر للكل¹

غير أنّ "طاليس" يمتاز خاصة بالنسبة للمفاهيم الأولى لأصل الوجود والأشياء، بأنّه دعم رأيه بالدليل حيث قال: "أن الكائنات الحية تتغذى من الأشياء الرطبة وما منه يتغذى الشيء فإنه يتكون منه بالضرورة .

فالنبت والحيوان يولدان من الرطوبة، كما أنّ الجراثيم الحيّة رطبة، وما منه يولد الشيء فهو مكّون منه، بل إنّ التراب وكما يضيف، يتكوّن من الماء ويطغى عليه شيئاً فشيئاً، كما يشاهد ذلك في الدلتا المصرية وفي أنهر " إيونية (Ionie) " ، حيث يتراكم الطمي عاما بعد عام .

إن ما يشاهد في هذه الأحوال أو الأمثلة الجزئية، ينطبق على الأرض عموماً فهي قد خرجت من الماء وصارت قرصاً طافياً على وجهه جزيرة كبرى في بحر عظيم، والذي تستمد من لا تناهيه العناصر الغازية التي تفتقر إليها، فالماء إذن هو أصل الأشياء².

ومما ينسب " لطاليس" كذلك قوله أن كل الأشياء مليئة بالآلهة أو بالنفوس، أي أن كل فعل إنما هو من النفس، وأن النفس منبثة في العالم أجمع والتي منها تكون المادة الحية، ويكون الماء التي تتألف منه الأشياء لأنه حاصل على قوة حيوية حاضرة فيه دائماً وإن لم تظهر دائماً .

ولعلّ ما يؤيد مثل هذا التأويل هو العبارة المنسوبة " لطاليس" والتي يوردها أرسطو بتحفظ وذلك من خلال قوله " بأنّ " للحجر المغناطيسي نفساً لأنّه يحرك الحديد"، والتي تدل

¹ مهدي فصل الله " بدايات التفلسف الانساني"، دار الطليعة والنشر بيروت، لبنان، 1، 1994، ص ص 39، 49

² محمد الخطيب ، الفكر الاغريقي، منشورات دار علاء الدين ، دمشق، 1، 1999، ص 87

على أن مبدأ الفعل والحركة عنده هو النفس، ولأن الحركة عنده كلية فإن النفس كلية بالتالي .

وهنا لابد أن نلاحظ أن إرجاع "طاليس" لأصل الأشياء والوجود إلى الماء كان مألوفاً عند الأقدمين .

فقد قال في قبله "هوميروس (Homère)" وذلك من خلال الأقيانوس (Okeanos) الذي اعتبره المصدر الأول للأشياء، كما قالت به من قبل الأسطورة البابلية: التي تؤكد " أنه في البدء وقبل أن تسمى السماء وأن يعرف للأرض اسم كان المحيط وكان البحر ولقد جاء في قصة مصرية كذلك "إن في البدء كان المحيط المظلم أو الماء الأول حيث كان "أتون" وحده الإله الأول صانع الآلهة والبشر والأشياء¹

فالقول بالماء كمصدر أول للوجود نجد له أقوالاً مشابهة، فيما يذهب هؤلاء الباحثين في الحضارة البابلية التي رأت أن العالم نشأ عن المياه الأولى التي كانت بدورها انعكاساً لعودة الأرض كل عام، إلى الظهور نتيجة لانحسار النيل، ولقد وجد هذا الزعم سبيله إلى الصياغة في الاتجاهات التناسلية التشبيهية الواردة في الميثولوجيا التقليدية، وهكذا نجد أنه في "مبحث آلهة الكون".

فعند "هزيود (Hésiode)" مثلاً (القرن الثامن قبل الميلاد) وفي قصيدة له ربما ثم نظمها في أوائل القرن التاسع قبل الميلاد، نجد أسرة الآلهة تردّ إلى الوراء حتى بداية العالم الأولى عندما تظهر جيا "Gaia" وهي أمنا الأرض تظهر مع أجزاء العالم السفلي المتنوعة على أنها أول كائن كوني متميز، وكان ظهورها من خليج خلاق يقال له كارس (Chaos) وهو لا يعني الفوضى ولكنه يعني مجرد "الثغرة"²

¹ المرجع نفسه ص90

² محمد الخطيب نفس المرجع السابق ص55

وفي نفس الوقت يظهر "الإيروس (Eros) "أو الحب الجنسي على مسرح الحوادث، و"الإيروس" هو الدافع التشبيهي المؤدي إلى مزيد من التمايزات، هكذا يولد "جيا"، إله السماء المذكر، أو " أورانوس (Uranus) "كما تلد أيضا الجبال والبحار الداخلي، ثم يقترن إله السماء بآلهة الأرض لكي ينتجا مع النهر الدائري الذي يصل ما بينهما وهو الأقيانوس (Okeanos) ومن نفس هذين الأبوين يظهر نسل المطر

وتذهب روايات أخرى إلى أنّ المطر هو البذور التي ترسلها السماء لتخصب الأرض لكي تنتج النباتات والمحاصيل .

إنّ هذا البحث شبه الأسطوري الخاص بأصل الكون ليزاد، تعقدا نتيجة للأخلاق الناتجة عن التأليف في "مبحث آلهة الكون" بين زويا كثيرة .

أما القصة التي تظل أكثر انتشارا واكتمالا من الناحية الأسطورية والشعرية فهي تلك التي وردت مؤخرا في القصيدة التي يصور فيها "أورانوس (Uranus) "مضاجعا "جيا" ويرفض السماح لها بأن تنجب ذرية التي تقدم لنا على الأرجح صورة أكثر بدائية تؤكد أن "العدم (Chaos) "الأصلي، أو الثغرة، هي تلك التي أحدثها أول انفصال وقع بين الأرض والسماء .

وعلى كل حال فإنّ الفكرة الأسطورية، القائلة بأنّ اختلاف أجزاء العالم فيما بينها إنّما كان بوساطة آلهة ذوي أسلاف يمكن تتبعهم كما هو الحال في الكائنات البشرية، إنّما يقضي إلى الرّأي القائل بأنّ العالم من حيث أنّه كل يمكن أن يصدر عن سلف واحد أو زوج من الأسلاف وذلك مثل الأرض أو السماء .

إنّ هذا التصرّو للوحدة التناسلية في العالم، والتي يمكن تحديدها بوساطة وصف التسلسل الوراثي بالنسبة إلى خروج مكونات العالم الكثيرة من المحرّك الكوني الواحد، قد أثرت تأثيرا عميقا في أوائل الفلسفة الذين سبقوا سقراط (399-469 Socrate) ق.م) والذين

استبدلوا " بجيا " أو " كاوس " بهزيود المادة الإبداعية الواحدة، وذلك مثل الماء عند طاليس، وقد كتب أرسطو في هذا الصدد: " يقول طاليس أنه يقصد عنصر الأشياء الموجودة ومبدأها الأول الماء "، وعلى ذلك أعلن أن الأرض " فوق " الماء مستندا في قوله هذا إلى رؤيته هذه إلى أن الأشياء جميعا تتغذى من الرطوبة¹.

أما " التوراة " فقد أكدت دورها أنه في البدء فإن الله خلق السماوات والأرض، وكانت الأرض خاوية، خالية، وكان على وجه القمر ظلام، وروح الله يرفرف على وجه المياه. إن هذه الأقوال يعادلها قول علمائنا اليوم " أن تكوين العالم بدأ منذ أن تحولت الأبخرة الأولى إلى ماء²

نخلص ممّا تقدم إلى تفسير "طاليس" للوجود قد تأثر، وكما رأينا بالعديد من التفسيرات الميثولوجية، أي الأسطورية، وبمشاهدات أخرى مماثلة، والتي تعدّ أبرزها، وكما سبق أن رأينا القصة الشرقية القديمة القائلة بأن العالم نشأ عن فيضان عظيم للمحيط، الذي جعل أصل الكون عنده هو الماء .

إنّ نفس التأثير سنجده لدى " أنكسيماندرس " وذلك من خلال تفسيره لأصل الطبيعية والوجود.

فلسفة أناكسيماندريس:

أنكسيماندريس 547 – 610/611 " Anaximandre " ق.م:

خط كتابا قبيل وفاته عام 547 ق.م. يحتمل أن يكون عنوانه " في الطبيعة de la nature، هذا الكتاب كان ضمن الكتب الموجودة في مكتبة اللوقيوم Lycée انتسب إليه

¹ أ.ه.أرمسترونغ، مدخل إلى الفلسفة القديمة، ترسيدالغامني، كلمة والمركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2009، ص22.

² محمد جديدي، نفس المرجع السابق ص50

أمور كثيرة لم تثبت عنه بشكل قطعي وخاصة ما تعلق بتقديم العلم كالمزولة وهي آلة لقياس الوقت ، صنع كرة أرضية ، ويكون قد رسم خرائط جغرافية.

إن الفكرة الرئيسية عند أنكسيمندريس تتلخص في نظريته عن العالم فقد تبع طاليس في القول بالأصل الواحد لكنه رأى أن الماء لا يصلح أن يكون مبدءاً أول ذلك لأن استحالة الجامد أي البارد إلى سائل بالحرارة فالحار والبارد سابقان عليه ولأن المبدأ الأول لا يكون معيناً فقد دعا المادة الأولى باللامتناهي.

هذا اللامتناهي أو اللامجمد أو اللامتعين " الأبيرون "Aperon دائم ، أزلي، خالد لا يفنى منه ابتدأت الأشياء وإليه تعود دائم الحركة وحركته هي سبب التعيين والتحديد وهو مزيج من الأضداد كالحار والبارد ، اليابس و الرطب.

كما أن المادة الأولى لا متناهية بمعنيين من حيث الكيفي لا معينة ، زمن حيث الكم أي لا محدودة¹

يمكن اختصار انجاز أنكسيمندريس الفلسفي بثلاثة نقاط:

1. القول بمادية أصل العالم وذلك إنسجاماً مع الميل الطبيعي المادي لولادة الفلسفة في اليونان.

2. القول بالحركة الذاتية للمادة أولهما الأصل.

3. تجريد هذا الأصل المادي للعالم تجريد يشير إلى المنهج الجديد الذي بدأت عملية المعرفة تعتمد عليه في تأسيسها النظرية الوجود².

ومن جانب آخر نجده يتحدث عن نظرية التطور التي تفيد بأن الإنسان كغيره من أنواع الحيوانات فكان في البدء سمكاً يقول : " إن الناس قد نشأت في داخل الأسماك وبعد أن

¹ محمد جديدي، نفس المرجع السابق ص 120

² محمد الخطيب ، الفكر الاغريقي، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، ط 1 ، 1999 ص 97-

تربوا فيها كالقرش ، وأصبحوا قادرين على حماية أنفسهم قذف بهم أخيرا على الشاطئ وضربوا في الأرض " ولكن هذا لا يجعلنا نتسرع فنقول بأنه كان أصلا لهذه النظرية كما ظهرت لدى لابلاس وداروين لأن نظرية أنكسيمندريس لم تقم على أي أدلة علمية بل قامت على أساس أسطوري حول هو وضعه في إطار فلسفي عقلي¹ .

لقد انتقلت المدرسة الملطية بعد "طاليس" إلى تلميذه أناكسيماندريس (Anaximandre) 610-545 ق.م) وكان ازدهار هذه المدرسة في منتصف القرن السادس ق.م أي حول عام (565 ق.م).

ويذكر البعض عن مساهمة " أناكسيماندريس " في تقدم العلم أمورا كثيرة، منها ما لم يثبت بعد صحته، فيقولون، مثلا أنه مخترع المزولة الشمسية "Le gnomon" التي يعد أول من رسم فيها خطوط المدارين والإعتدالين، ويقال أيضا أنه رسم كذلك أول خريطة جغرافية وأنه أول من اكتشف انحراف فلك البروج.

على أن الذي يعنينا هنا فلسفته في الطبيعة وتفسيره للظواهر الجوية أو الفلكية، وذلك مثل الهزات الأرضية، والرياح، والأمطار، والبرق، والخسوف، والكسوف وكذلك المسائل الجغرافية العامة، كشكل الأرض وأصل الحياة الأرضية... إلخ²

ولعل أرجح التقديرات في هذا الصدد هي تلك التي ترى أن الطبيعيين الملطيين عامة، ومن ضمنهم "أنكسيماندريس" لم يفعلوا، فيما يتصل بهذه التقنيات العلمية، سوى أنهم روجوا لها، خاصة في بلاد الإغريق، وذلك من خلال ما تناقلوه عن الحضارة المصرية وحضارة بلاد ما بين النهرين .

¹ مصطفى النشار ، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، دار قباء الحديثة للطباعة و النشر والتوزيع ، القاهرة ، الجزء الأول والثاني ، ط 2 ، 2007 ، ص 105-106.

² مصطفى النشار تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، دار قباء الحديثة للطباعة و النشر والتوزيع ، القاهرة ، الجزء الأول والثاني ، ط 2 ، 2007 ، ص 105-106.

لقد كان البابليون من رُصاد السماء، وفضلا عن ذلك فإنّهم كانوا يرسمون في سجلات المساحة، مخططات للمدن وللأقنية، بل أنهم حاولوا أن يرسموا خريطة للعالم، أما الفنون أو الصنائع الميكانيكية فقد عرفت في جميع المناطق الهلينية، ذلك فيما بين القرنين السابع والخامس تطور فائق الغنى والتنوّع

وكان من جملة هذه الملاحظات الشعبية عند الملطيين المشغولين في المقام الأول، بشؤون الملاحة ورصد الزوابع والعواصف هدوء السماء الذي كانت تتشكّل فيه سحب سود كثيفة يمزّقها، على حين بغتة، عارض البرق، منذرا بزوبعة الهواء التي توشك أن تهب .

لذلك كان "أناكسيماندريس" يقول في مسعاه إلى تفسير كل ذلك بأنّ الريح الحبيسة في الغيمة، شقّتْها بقوتها وعنفها تلك السحب، فصاحب البرق والرعد¹ مثل هذا الانشقاق المباغت.

ولأنّّه قد شبه الريح بالعاصفة فإنّ تصور أي "أناكسيماندريس" الطبيعية ولتكون الكواكب السيارة كان مماثلا .

من هنا فإننا إذا ما أردنا النفاذ إلى تصوّر "أناكسيماندريس" للسماء فإنّه يجب علينا أن نستبدل السحب الكثيفة بغمد "Gaine" من الهواء المتكاثف، ذلك الهواء الذي لم يكن يعني عنده سوى الأبخرة والريح المتداخلة مع النار، ومع تمزقات الغيوم بضروب من فوهات النفاخ منها تتدلّع النار، ومن هنا افترضنا أنّ هذه الغيوم دائرية الشكل ومصفوفة حول الأرض يتصف "حتر" العجلات حول قُبّ العربة "Moyen du char" إن السيارات لن تكون بالنسبة إلينا في هذه الحال، سوى ذلك الجزء من النار الداخلية الذي تخرج من تلك الفوهات، تماما كما أنّ الانسداد المؤقت لهذه الفوهات هو الذي يفسر لذا بالتالي الخسوف والكسوف والأوجه القمرية

¹ عبد المنعم حنفي ، الموسوعة الفلسفية، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة تونس، دط، 1992، ص73

إنّ مشابهاً من هذا القبيل هي التي تفسح المجال أمام صياغة جديدة لمشكلة نشأة الكون، فتشكل السماء لا يختلف اختلافاً جوهرياً عن تشكّل السحابة، والمطلوب هو معرفة الكيفية التي أمكن بها للنار، التي كانت في الأصل تغلف الأرض كما تغلف القشرة الشجرة، أن تتحطّم وأن تتوزّع في داخل الحلقات الثلاث .

والحال أنّ علة ذلك لا بد أن تكون، في نظر "أناكسيماندرس" العلة نفسها لأصل الأمطار والعواصف والرياح، فإنها ليست بالتالي سوى الأبخرة التي تتولد فوق سطح البحار، وذلك عن طريق التبخر فتحطم دائرة النار تلك، وتحصر جذاها في حلقات

إنّ الظاهرة الأساسية في هذه الفيزيقيا الملطية هي بالتأكيد قولها بتبخر ماء البحر، بفعل الحرارة، ومنتجات هذا التبخر... (الأبخرة، الرياح، السحب.. إلخ) هي التي درج اليونان على اعتبارها صفات حيوية(). وعليه فإنّ "أناكسيماندرس" لم يفعل في هذا سوى الأخذ برأي دارج منذ القدم وذلك حينما افترض أنّ الكائنات الحية تولد في الرطوبة الحارة المتبخرة بالشمس .

ولذلك نراه يلح على أسبقية أشكال الحياة البحرية، والأسماك والكائنات الحبيسة على كل أشكال الحياة الأخرى... التي يتحتمّ عليها أن تعدل طراز حياتها حينما تتشظى وتجد نفسها فوق الأرض، إنّ تصورات "أناكسيماندرس" هذه قد تساعدنا على توضيح معنى آراء الطبيعيين الملطيين حول الجوهر الأول الذي يرى فيه أرسطو "النقطة المحورية في مذهبهم". كما يرى " أنّ هذه الآراء لا تدور حول مادة الموجودات، بل حول الشيء الذي منه جاء العالم فحينما قال طاليس إن ذلك الجوهر الأول هو الماء فإنّما كان يردد فكرة شائعة على أوسع نطاق حول أصل الكون"¹. على أنه يتعين علينا في أرجح الظن أن نفهم أن المقصود بهذا الماء على ضوء تطوّر الفكر الملطي، شيء يتصل بالرقعة البحرية وبكل ما يدب فيها من حياة .

¹ مصطفى النشار ، نفس المرجع السابق ص 77

وكان من جملة تعاليم "أناكسيماندرس" كذلك قوله بأن الأرض أشبه بأسطوانة مسطحة محمولة فوق الماء الأولي مثل سفينة فوق البحر، فماذا الذي حمل "أناكسيماندرس" على استبدال ماء "طاليس" بما أسماه "اللامتناهي" (Apeiron)؟

إنّ شراح فلسفته لا يتفقون كثيرا على معنى اللفظ عنده، وهل هو المعنى الملطي للأسطورة الهزبونية (أي (فرع وعدم) أي خواء Chaos ، سابق على الآلهة، وعلى الأرض والسماء، مثله في ذلك مثل دعوى "طاليس" التي تركز إلى نظرية قديمة عن نشأة الكون؟

وفي مثل هذه الحالة سيكون "اللامتناهي" هو ذلك الشيء اللامتعيّن كيفاً والذي منه تولد الأشياء المتعيّنة، من نار وماء وإخ، أو ذلك المزيج الذي تختلط فيه جميع الأشياء كالحر والبارد واليابس والرطب وغيرها لكي تفترق بعدئذ لتؤلف العالم .

وإذا كان اللامتناهي عند أناكسيماندرس" وعند غيره، لا يعني وكما سنرى في الفصول القادمة من هذه الرسالة، اللامحدود، كمّا أو كيفاً، فإنّ هذه الأضداد المحدودة التي كانت في البدء مختلطة، ومتعادلة أي غير موجودة بالفعل ما لبثت أن انفصلت بحركة المادة التي لا تزال (أي الحركة) تفصل بعضها من بعض، وتجمع في نفس الوقت بعضها مع بعض، بمقادير متفاوتة، حتى تكوّنت بمثل هذا الاجتماع والانفصال، الأجسام الطبيعية على اختلافه

وهكذا فإنّ أوّل ما انفصل عن اللامتناهي، الحر والبارد، حيث ذكرت من الحر طبقة البخار أحاطت بالبارد، وتكوّن منها الهواء، ورسب بعض البخار فكوّن الماء، ومن الماء كانت الأرض ثم ارتفع البخار وكون دائرة حول الهواء، ثم تمزقت هذه الدائرة إلى حلقات فكونت الشمس والقمر والنجوم والكواكب إلخ والأرض فيما يرى "أناكسيماندرس" جسم أسطواني أو مخروطي نسبة قمته لقاعدته¹، ونحن نشغل قسمها الأعلى، المنتفخ قليلا

¹ زكي نجيب محمود، أحمد أمين، قصة الفلسفة اليونانية، دار المعارف، ط1، دتأ ص110

والأرض لا تقوم على شيء عكس ما اعتقد طاليس حيث أنه لا بد من سماء سفلى تجتازها الشمس والكواكب من الغرب لتعود فتظهر في الشرق، كما أن الشمس تجتاز السماء العليا من الشرق إلى الغرب، فالأرض إذن معلقة في وسط السماء ثابتة في مكانها، لأنها واقعة على مسافة واحدة من الأجرام السماوية،¹ فليس هناك من يجعلها تتحرك إلى جهة دون أخرى، لأن النسبة التي سبقت الإشارة إليها، بين ارتفاعها وعرضها تكفل لها مثل هذا الاستقرار بذاتها.

وبالنسبة للأحياء فإن "أناكسيماندرس" يرى أنها نشأت من الرطوبة ثم عملت الشمس على نبخرها "ففي الأصل كان أول كائن هوائي سمكا، وكان عليه قشر كبير، ثم انتقل السمك إلى اليابس وتخلص من القشر الذي عليه وتطور إلى أن وصل إلى الصورة الإنسانية

والتطور عند "أناكسيماندرس" يمثل قانونا عاما: " فالأشياء تخرج من اللامتناهي ثم تتجلى وتعود إليه ويتكرر الدور، فمنها ما يشرق ومنها ما يغرب لآجال بعيدة " أنها العوالم التي لا تحصى ومنها ما يتكون ويفسد في أوقات قصيرة، ويعوض بعضها البعض على مر الزمان"، وذلك مثل الجزيئات كالحرارة التي تشرب ماء الأرض فيتحول إلى البخار ليتحول في الأرض إلى مطر وهكذا إلى نهاية الدور، فالحركة رائعة والموجودات متغيرة والمادة اللامتناهي بقية حادثة ولا مندثرة.²

هكذا يفسر "أناكسيماندرس" تكوين الأشياء تفسير آليا، أي اجتماع عناصر مادية وافتراقها بتأثير الحركة دون علة فاعلة متميزة ودون غائية، لذلك فهو في تصوّره لهذا التكوين يكاد يقترب من تصوّر عبر واحد من العلماء المحدثين خاصة "لابلاس" (La 1827 place 1749 الذي كاد يقول بنفس مذهب في التطور بل إنّه كاد يقول بقانون الجاذبية "

¹ بن يامين فارنتن، العلم الاغريقي، ترجمة أحمد شكري سالم، ميراث الترجمة للنشر، ص28

² المرجع السابق ص110

نيوتن (1642-1727 Newton) "م) لولا أنّه يرى، وكما ذهب أرسطو إلى أن الأرض المستقرة في مركز العالم تشبه رجل يهلك جوعاً لأنه لا يجد سبباً يحمله على الأكل من طبق دون الآخر من أطباق كثيرة تحيط به، وعلى مسافة واحدة

ويعتقد "أناكسيماندرس" أنّ هناك عوالم لا عدد لها في اللامتناهي، يوجد عدد منها في كل وقت كما أنّه يرى كذلك أن تكون عالم جديد إلا بعد أن ينفي العالم القديم الذي سبقه.

فلسفة سقراط

ناهض سقراط المدرسة السوفسطائية منذ بداية حياته الفلسفية، فظل يحاورهم في الأسواق ويجادلهم في المنطق ويفضح جهلهم ويكشف مقاصدهم، فقد أحدث سقراط ثورة أخلاقية في الفلسفة بأسلوبه وفكره حيث جعل محور الفلسفة معرفة الإنسان شعاره أعرف نفسك بنفسك". فالإنسان هو الروح وهو العقل الذي يسيطر على الحس ويديره¹ ويجعل الوجود وجوداً واضحاً ومدرَكاً بدون شكوى فإذا عرف الإنسان نفسه فإنه سيعرف بالضرورة ما يمكنه أن يفعله وما لا يمكنه أن يفعله فإذا عرف فإنه سيحصل على الضروري لحياته ويعيش سعيداً ويكون بمعزل عن الألم، وإذا لم يعرف فإنه لن يستطيع أن يستخدم مواهبه في الحياة وبالتالي لن يكون سعيداً. فعمل سقراط على تحليل بعض المفاهيم والمصطلحات الأخلاقية فبحث في تعاريف لألفاظ أخلاقية² مثل الشجاعة، العدالة، التقوى، الصداقة، وخصص لكل منها محاولة لما لهذه التعريفات الدقيقة من قيمة كبيرة من التفكير الصحيح مهتدياً بالعقل إلى القيم المطلقة في مجال الأخلاق. وبهذا الأسلوب توصل "سقراط" بالعقل إلى القيم المطلقة في مجال الأخلاق فبدأت الطبيعة البشرية في نظره جسماً وعقلاً يسيطر على دوافع الحس ونزواته فأصبحت قوانين الأخلاق تتعارض مع الجانب الحيواني في طبيعتها وتتماشى مع الطبيعة العاقلة فنياً، ولذا وجب احترامها وطاعتها وعقاب الخارجين عنها، فأصبح العلم عنده هو العلم بالنفس لأجل تقويمها والمعرفة الحقة هي معرفة النفس فقط، فقد ربط سقراط

¹ يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، د.ط، ص 45.

² توفيق الطويل: فلسفة الخلق، منشأة المعارف الإسكندرية، ط1، 1960، ص32.

بين نظريته في المعرفة وموقفه من الأخلاق بتحديد مفاهيم ومعان دقيقة للألفاظ التي تستخدم في الأخلاق كالفضيلة والعفة¹ ومن ثم الاهتمام إلى معان ثابتة للمفاهيم والاصطلاحات الأخلاقية التي لا تخضع للأذواق الخاصة التي تمليها الأحاسيس الفردية والشهوات الطاغية على القوة العاقلة في الإنسان، فالإنسان عاقل بعقله لا بحواسه وجسده، فالإنسان خير بطبعه وأن الشر طارئ عليه، ويأتي الشر من الجهل به وهنا يكمن دور العقل في إدراك الخير وإرشاد الإنسان إلى سلوك طريقه، هدفه من ذلك التوحيد بين المعرفة والفضيلة بحيث متى حصل للإنسان معرفة بحقائق الأشياء وخاصة في مجال الأخلاق، فإن ذلك يحمله على اقتناءها، فمعرفة العفة تحمل العارف على سلوكها ومعرفة العدالة تحمل العارف على تطبيقها وبالتالي تكمن أفضلية الإنسان هي أن يفعل ما يتفق أنه عاقل إذا عرف الإنسان نفسه أدرك أنه خير بطبيعته، فينبغي أن يكون فعله خيرا دائما وقد عبر عن ذلك بقوله "إن الفضيلة علم والرذيلة جهل" فالإنسان يريد الخير دائما، ويهرب من الشر بالضرورة، فمتى تبين ماهيته وعرف خيره بما هو إنسان أراد حتما، فإذا قيل لسقراط: "إن المرء قد يعرف الرذيلة ومع ذلك يمارسها وقد يعرف الفضيلة ويتجاهلها فإن سقراط يرد قائلا، إن المعرفة في هذه الحالة تكون ناقصة، الحقيقة أن سقراط كان يكسب الناس يستطيعون أن يعيشوا مثله وفقا لعقولهم مثلما عاش هو زاهدا متقشقا جاعلا حياته تطبيقا عمليا لفلاسفته التي عاش ومات من أجلها، على اعتبار أن الإنسان ليس عقلا خالصا، وليس ما يقع فيه الإنسان من الإثم ناشئا عن خطأ في الموازنة بين اللذة الحاضرة والآلام الناتجة عنها، ولا ناشئا عن جهل بطبائع الأشياء، إنما منشؤة فساد في الخلق، يحمل الإنسان الشر على الخير وهو علم بهما وبقيمة كليهما² فإن الناس في نظره جميعا سيهدفون الخير لكن الناس يختلفون بصدد ماهية الخير يقول سقراط "ما من إنسان يرتكب الخطأ عمدا" إنه يخطئ لأنه لا يعرف المفهوم الحق للصواب ولما كان جاهلا فإنه يظن أن ما يفعله هو

¹ أحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، دار إحياء للكتب العربية القاهرة ط11 1954، ص 200

² توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية، منشأة المعارف الإسكندرية، ط1، 1960، ص 32.

الخير يقول سقراط مرة أخرى إذ أخطأ الإنسان عامدا فإنه أفضل ممن يخطئ بدون عمد لأن لدى الأول الشرط الجوهرى للخيرية وهو معرفة الخير لكن الثاني تنقصه تلك المعرفة ولهذا فهو بلا حول ولا قوة وحينئذ كما ذهب "أرسطو (Aristote 384-322 ق.م) لا تكون الفضيلة والعلم متماثلين،¹ فقد يعلم الإنسان ولا يعمل وقد يعمل ضد ما يعلم. الثورة الأخلاقية عند "سقراط:"

يعتبر مذهب سقراط في الأخلاق رد فعل لموقف السوفسطائيين الذين أكدوا أن الإنسان مقياس الأشياء جميعا فأقروا بالنسبة والتغيير خاصة في مجال الأخلاق فكانت ثورة عارمة وصدمة عنيفة لسقراط فأكد للجميع أن العلم لا يكون إلا إذا أدركنا ما هو ثابت غير متغير وأن إدراك الثابت غير المتغير لا يكون إلا عبر تعبير دقيق نحدد من خلاله ماهية الشيء . فبواسطة أداة العقل تتأسس المعرفة الصحيحة فأى معرفة لحقيقة الخير والشر ينبغي أن تقوم على استطاعة المرء التمييز بين الحق والباطل والأمران مرتبطان فكلاهما لا يمكن تميزه إلا إذا استخدم الإنسان عقله في وضع المفاهيم أو التعريفات الكلية الثابتة لكل شيء وحدد ماهيته حسب إدراك ما هو ثابت غير متغير منه. فالمعرفة الحقة عند سقراط هي التي تم من خلال المفاهيم وأن تأسيس المعرفة على المفاهيم هو تأسيسها على كلية العقل ومن تم استعادتها من مجال المظهر الذاتى وردّها إلى الحقيقة الموضوعية وبهذا أصبح العلم والمعرفة العقلية وسيلة لتحقيق الفضيلة وطريقة لتطهير النفس. والفضائل عند سقراط شيء واحد رغم تعدد أسمائها وصورها وهذا الشيء هو إدراك الخير، ومن أدرك الخير صار فاضلا بصرف النظر عن اسم الفضيلة (الصدق، الشفقة، الشجاعة، التسامح... إلخ) فقد آمن سقراط بأن كل هذه الفضائل الجزئية تصدر عن مصدر واحد هو المعرفة لهذا فإن المعرفة نفسها أى الحكمة هي الفضيلة الوحيدة، وهذه الفضيلة تشمل جميع الفضائل الأخرى،

¹ أرسطو: علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، نقله إلى العربية أحمد لطفي السيد مطبعة دار النشر المصرية القاهرة، الجزء الأول، المقدمة، 1924، ص49. طبعة جديدة 1998، ص112.

فالفضيلة خير¹، ومعرفة الخير تتجلى في السلوك الصحيح وفي كل مجالات الحياة، ولذلك فليس في مقدور الإنسان أن يتحلى بفضيلة دون أخرى فلا يمكنه أن يكون شجاعا ومسرفا في نفس الوقت، ولا تقيا وجبانا في وقت واحد فالفضائل إما أن تجتمع في الإنسان معا أو ترتفع عنه معا لأن ماهيتها شيء واحد هو معرفة الخير.

أما عن موقف سقراط من السعادة، فإنه يعتقد بأنه لازمة من لوازم اقتناء الفضائل فمتى تحددت معاني الفضائل والردائل كانت السعادة في اقتناء الأولى والابتعاد الثانية، لأن السعادة تتحقق بالعلم دون انتظار لجزاء، إنها اطمئنان النفس والفرح الداخلي الذي يكون الاعتدال والتحرر من أسر الخيرات المادية كالغنى والجاه والسلطان مما يعتبره الناس سعادة ولكنه ليس كذلك، "إن السعادة لا تتجم عن شيء مادي إنما هي أثر لحالة نفسية أخلاقية هي الانسجام بين رغبات الإنسان وبين الظروف التي يوجد فيها² .

ويحدد سقراط الفضيلة في "اكسانوفان" بأنها في إتباع الإنسان للقانون واحترامه وتقديسه فالقوانين سواء كانت مكتوبة وضعها البشر لتحقيق السلام والسعادة في المدينة أو كانت قوانين غير مكتوبة مستمدة من إرادة الآلهة فهي حقائق ثابتة متوارثة ينبغي المحافظة عليها من أي تغيير أو تبديل³ فالقانون هو رمز للعقل ينبغي أن يسود وينظم الفوضى وطاعته واجبة ولا يجوز للحكيم أن يخالف قوانين المدينة المكتوبة لأن الثورة عليها إنما تعني تحطيم كيان المدينة وانهايار قيمها المتوارثة فمن يحترم القوانين العادلة يحترم العقل والنظام الإلهي فقد يحتال البعض في مخالفتها بحيث لا يناله أذى في هذه الدنيا ولكنه مأخوذ بالقصاص العدل لا محالة له في الحياة المقبلة وهذا عكس ما ذهب إليه السوفسطائيون من أن المشرعين قد وضعوا القوانين لقهر الطبيعة فهي غير واجبة الاحترام بحق للرجل القوي

¹ أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها دار قباء للنشر، طبعة جديدة 1998، ص 112.

² محمد يوسف موسى: تاريخ الأخلاق مؤسسة الخانجي، مصر، ط1، (ب.ت) ص 71.

³ شارل فرنر: الفلسفة اليونانية ترجمة تيسير شيخ الأرض، دار الأنوار، بيروت 1968، ص 120.

أن يخرج عليها ويضرب بها عرض حائط وهنا نرجع إلى خطاب القوانين لسقراط في محاوره "أقريطون"¹ بعد ما اتهم بتهم عديدة كان أهمها :

- إنكار الآلهة القومية (آلهة المدنية)
- محاولة إدخال عقائد جديدة
- إفساد عقول الشباب وعقوبة هذه الجرائم الإعدام
- وأسباب الاتهام شخصية وسياسية ويمكن تلخيصها فيما يلي :
- جرأة سقراط وشجاعته في إحراج الرجال الأقوياء ومدعي المحكمة في أثينا .
- كراهيته للديمقراطية الآتية الفاسدة .

الخط بينه وبين السوفسطائيين واعتباره واحد منهم ولاشك أن "أريستو فانيس" في مسرحية السحب مسؤول عن ذلك لأنه كان رجعيًا في الفكر والسياسة ويكره السوفسطائيين باعتبارهم ممثلين للحدثاء وقد هاجمهم هجومًا لاذعًا في مسرحيته تلك ويظهر سقراط على أنه البطل أو الشخصية المحورية وزعيم السوفسطائيين. ولقد وقف سقراط في المحكمة يدافع بشجاعة وتبدى رزينا ممتلئًا بالثقة، فلم يكن دفاعه في الحقيقة عن نفسه بقدر ما كان اتهامه لقضاته وسكان أثينا على فسادهم ورذيلتهم. وقد عرض عليه أحد أصدقائه القدامى "أقريطون" محاولة للفرار أو للهرب من السجن فيقول له "هل تتصور دولة ليس لأحكام قانونها قوة ولا تجد من الأفراد نبذا وإطراحا أن تقوم قائمتها فلا تتدك من أساسها؟... ويتصور القوانين تخاطبه قائلة وماذا تظن يا سقراط؟ ألم تقل أن الفضيلة والعدالة والتشريع والقوانين هي أنفس الأشياء في هذا العالم.

ويؤكد سقراط أنه "بفضل القوانين قد ولد في ذلك المجتمع المغلق مواطنًا أثينا، كما أنه يؤكد وفقًا لتعاليمه الأخلاقية أن الظلم في كل الأحوال شر وعار لمن يقترفه ومن ثم فلا يجب الرد على الظلم بالظلم، ولا توجب الإساءة لأي إنسان مهما يفعل لنا.

¹ أفلاطون: محاوره أقريطون الترجمة العربية لدكتور زكي نجيب محمود Plat crit 506-53c

فقد احترمت سقراط القانون رغم إدراكه لفداحة الظلم الذي وقع عليه، واقتنع تلاميذه تحت تأثيره حججه المقنعة بضرورة الخضوع لحكم القانون،¹ فالقانون في ثباته وكماله كالحقيقة الرياضية عند سقراط لا تتغير بتغير الزمان والمكان يقول: "لو سألك سائل فيما يتعلق بالأمور التي لك بها معرفة مثل حرف الهجاء: ما عدد الحروف في كلمة سقراط هل ستخبره أحيانا بشيء وأحيانا بشيء آخر، أو تقول لمن يسألك من الناس عن الأعداد مثلا هل العشرة هي ضعف الخمسة؟ هل ستخبره بإجابات مختلفة متعددة؟".

لقد كان ارتباط سقراط بسياسة المدينة يجعله خاضعا كل الخضوع لنظمها وقوانينها ويجعله معارضا لكل محاولة للتحرر من هذه القوانين أو التغيير فيها تغيير يؤكد فردية المواطن إزاء الدولة كما كان ينادي كثير من السوفسطائيين، فالقانون هو أساس التربية ومصدر الفضيلة وسر الثبات والنظام وسط النظم القائمة الدائمة التغيير والقرارات المتعددة التي أصبحت تخضع للأهواء المتغيرة التي كانت تسود المجالس الشعبية في حكم الديمقراطية.²

فالقانون سياج الدولة ينشأ المواطنون في ظله ويحيون فإذا ظلم الآثيون سقراط فبأي حق يستهين سقراط بالقانون ويظلم القانون وسلامة القانون يعطي للدولة مصداقيتها حتى في ظل حكم الأقلية وإن فرار المواطن من مدينته يعي بكل بساطته أن القانون غير مشرف³ فالقانون لا يتعارض والعدالة الإلهية لأنه رمز لها فينبغي على كل فرد أن يمارس حريته كما يعتقدون بدون تدخل من الآخر وأن لا يمارس الآخر أي إرغام على الفرد فارضا عليه معتقد أو فكرة بالقوة وهذه الحرية هي فوق كل الحريات باعتبارها "الوسيلة لتحقيق الذات تحقيقا تاما والاتصال المباشر بالآخرين"⁴ والتأكيد على كرامة كل عضو من أعضاء المجتمع كما تعي

¹ حربي عباس عطيتو محمود: ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003، ص 155.

² أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية، ص 158.

³ ش ولترستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 93 ارل فريز: الفلسفة اليونانية، ترجمة تيسير شيخ الأرض، دار الأنوار، بيروت 1968، ص 18

⁴

أيضا احترام الآخر والاعتراف بخصوصية وهي غاية في حد ذاتها وبغيرها فإنه لا يمكن السعي نحو الكشف عن الحقيقة كما يجب على المرء أن يحترم آراء غيره لاعتقاده أنها محاولة للتعبير عن جانب من جوانب الحقيقة وهذا يعني أن الحقيقة أغنى من أن تتحل إلى عنصر واحد، وأن الوصول إلى معرفة عناصرها المختلفة يوجب الاعتراف لكل إنسان بحقه في إبداء رأيه حتى يؤدي إضلاعنا على مختلف الآراء معرفة الحقيقة الكلية فليس تسامحنا في ترك الناس وما هم عليه من عاداتهم واعتقاداتهم وآرائهم منه تجود بها عليهم، وإنما هو واجب أخلاقي ناشئ عن احترام الشخصية الإنسانية¹. فليس هناك شيء أهم من حرية الإرادة² هكذا كانت ثورة سقراط الأخلاقية، بكل معانيها ليظل المواطن الآتي الذي يحترم القانون المدني لمدينته وليبرهن على أن الفيلسوف الحق حينما يدرك الحق - الخير لا يمكنه تحت أي ظرف أن يتنازل عنه مهما كان الثمن هو الحفاظ على ذاته ولاشك أن أثينا قد أكرمت في حق سقراط حين أعدمته ولكن ظروفها قد أحاطت بالمدينة، وبسقراط مما دفعا إلى هذا الجرم بالرغم من محاولتها اجتنابه والتخلص منه، وهكذا كان سقراط نموذجا فريدا في الزعامة الفكرية والروحية وكان خطيبا مفوها لا يزال صوته يتردد منذ أكثر من ألفين وأربع مئة سنة يدعوا إلى الشجاعة والوضوح في الأفكار والتواضع ورفض الأوهام والخرافات التي تقصد ساعة الإنسان وتؤثر سلامة المجتمع وقدرته على التقدم وبهذا يكون سقراط عاش التجربة الفلسفية بكاملها سواء على مستوى قناعاته الفكرية أو على مستوى حياته اليومية، فلم يكن يتحدث عن الفضيلة العلم والفضيلة السلوك مجرد حديث نظري بل كان هذا الحديث مجرد تأمل لحياته ومرآة لها، إنه بحق الفيلسوف الذي عاش فلسفته دفع بحياته ثمنا للالتزامه بأفكاره وإصراره على مواصلة رسالته الإصلاحية مهما كان الثمن ومهما كانت النتائج فقد ظل يواصل رسالته التنويرية في كشف زيف علم المدعين حتى آخر لحظة من حياته.

¹ حربي عباس عطيتو محمود: ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003، ص 155.

² نفس المرجع نفسه ص 55

سقراط الذي شرب السم راضيا يعيش في كل العصور، سقراط الذي آمن بأن الحل بعيدا عن الحكام، الحل بالفكرة بالإيمان بالقضية والموت من أجلها يعيش اليوم في كل العصور المختلفة وسطى وحديثة ومعاصرة بآلاف الأسماء وآلاف الأشكال ويرى دليل على ذلك ، وكما قال سقراط لحكام أثينا "لا تعتقدوا أنكم بهذه الطريقة تقتلون الأفكار، لا ليس أسهل الطرق هي الإعدام بل أسهلها تغيير أنفسكم. "فالتغيير هو الهدف النهائي لكل ثورة¹ ومن ثمة فإن الخلاف بين التغيير وبين الثورة خلاف في الوسائل وفي مدى التحقيق الفعلي للأهداف.

المدرسة أفلاطونية والبزوغ الأول للعقل

عاش أفلاطون في أواخر القرن الخامس وأوائل الرابع قبل الميلاد بعد أن ولد في أثينا ما أصل عريق وأب واسع الثراء فنشأ في بحبوحة من النعيم ورغد في العيش ألف في شبابه نظم الشعر واعتنى خاصة بالشعر التمثيلي واشتغل بكثير من العلوم، إلا أن ميله للحكمة وإقباله عليها طغى على كل جانب من جوانب حياته²، كما قضى حياته يفكر في السياسية ويمهد لها الفلسفة، ولم تكن له قط مشاركة عملية فيها، وداخله من الحزن والسخط لممات معلمه مما دفعه إلى مغادرة أثينا، وقصد ميغاري حيث كان بعض إخوانه قد سبقوه والتفوا حول إقليدس أكبرهم سنا. مكث هنالك نحو ثلاثة سنين ثم سافر إلى مصر (وهو يذكرها في غير ما وضع من كتبه ولا سيما "الجمهورية" و "القوانين" ذكر من عرفها معرفة شخصية) وانتهاز الفرصة فذهب إلى قورينا لزيارة عالمها الرياضي تيودوروس ودرسته، واد إلى مصر فقضى زمانا في عين شمس واتصل بمدرستها الكهنوتية وأخذ ينصب من علم الفلك، ولا بد أن يكون قد استفاد أيضا بملاحظة الديانة والحكم والأخلاق والتقاليد فإن في مؤلفاته الشواهد العديدة على ذلك³.

¹ جعفر آل ياسين: فلاسفة يونانيون، العصر الأول، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1981، ص 165.

² محمد بيسار، الفلسفة اليونانية، مقدمات ومذاهب، مرجع سابق، ص 86.

³ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939، دط، ص 76

ولأول مرة يعيش الفيلسوف والشاعر معا في شخص أفلاطون وروحه، لم تلبس الفلسفة على ما نعتقد إطلاقا مثل هذا الثوب الجميل اللامع الذي بدأ في أسلوب أفلاطون قبله أو بعده. فقد قال أحد المعجبين والمحبين لأفلاطون "أنه يعرض الاتحاد النادر بين العبارة والمنطق بحماسة الشعر مذوب ببهاء وجلالة عصره وتتاسق وانسجام زمنه، ويحيلها إلى جدول رقرق من النغمات والتعابير الموسيقية التي تتدفع قواها المقنعة بلا توقف ولم يكن عبثا أن بدأ الفيلسوف الصغير كاتباً مسرحية وهكذا نجد أفلاطون مثاليا وواعظا وأخلاقيا وكاهنا لذلك فإن المحاورات الأفلاطونية ستبقى إحدى الكنوز الثمينة في العالم وأفضلها كتاب الجمهورية وهو كتاب تام في حد ذاته¹

ورجع إلى أثينا وأنشأ سنة 387 مدرسة على أبواب المدينة في أبنية تطل على بستان أكاديموس فسميت لذلك بالأكاديمية أنشأها جمعية دينية علمية وكرسها لآلهة الشعر وأقام فيها معبداً، ونزل لها عن الأبنية ومحتوياتها وظل يعلم فيها ويكتب أربعين سنة ما خلال فترتين قصيرتين سافر فيهما إلى سراقوصطة الواحدة سنة 367 والأخرى سنة 361 كان حظه فيهما مع دنيوسوس الثاني من حظه مع أبيه المتوفى ولم تصلنا أخبار مفصلة عن الأكاديمية، ولكننا نعلم أن مستمعيه كانوا خليطاً من الأثينيين، ويونان الجزر وتراقية آسيا الصغرى، بينهم بعض نساء. ونستطيع أن نقول إن الحركة العلمية كانت شديدة وأن دروس المعلم كان يتخللها ويعقبها مناقشات في جلسات متوالية تتعارض فيها الآراء وتحمص على النحو الذي نشاهد في المحاورات المكتوبة. وكان التعليم يتناول جميع فروع المعرفة، وكان إلى جانب أفلاطون وتحت رياسته عدد من العلماء كل منهم متخصص بمادة، يشرحون الرياضيات والفلك والجدل والبيان والأخلاق والسياسة والجغرافيا والتاريخ والطب والتنجيم وتوفي أفلاطون وقد بلغ الثمانين في أثناء حرب فيلبوس المقدوني على أثينا، فلم يشهد ما أصاب وطنه من انحطاط لم تقم له من بعده قائمة.

¹ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939، دط، ص 76

-الجدل الصاعد والنازل:

بدأ أفلاطون يوضح نظريته الجديدة في المعرفة معتمداً منهجياً إلى حد ما على طريقته الخاصة في الجدل.

وأقول طريقته الخاصة لأن أفلاطون لم يرفض الجدل كمنهج لمجرد أن السوفسطائيين انحرفوا به عن معناه الحقيقي فاستخدموه في التغلب على خصومهم واستعملوه بمعنى المناقشات المموهة، وإنما اعتد به واستعمله هو المناقشة هو المناقشة المخلصة والحوار الجاد البريء، سواء كان حوار شخص لشخص آخر أو حوار يجريه المرء بينه وبين نفسه، فالجدل بهذا المعنى لا يعود أن يكون ضرباً من التأمل ونوعاً من البحث على الإدراك العقلي لا على الإدراك الحسي.

ولهذا يعرفه أفلاطون في جمهوريته بأنه المنهج الذي ينتقل به من المحسوس إلى المعقول لا يستخدم شيئاً حسياً بل ينتقل من معانٍ إلى معانٍ بواسطة معانٍ.

وفي مكان آخر من الجمهورية يعرف الجدل ويقسمه على نحو آخر فيقول: أنه العلم الكلي بالمبادئ الأولى والأمور الدائمة يصل إليه العقل بعد العلوم الجزئية وينزل منه إلى هذه العلوم يربطها بمبادئها وإلى المحسوسات يفسرها، فالجدل منهج¹ وعلم يجتاز جميع مراكب الوجود عن أسفل إلى أعلى بالعكس.

• الجدل الصاعد:

لم يكن إيثار أفلاطون للحوار عبثاً أو إرضاء لنزوعه الأول للقصص التمثيلي، ولكن معاصر السوفسطائيين وتلميذ سقراط تأثر بالجدل واعتمد مع أستاذه أن الحوار بمرحلتيه، هو الطريق الوحيد للبحث في الفلسفة، فاصطنع الجدل وتحدى السوفسطائيين فنقل اللفظ من معنى المناقشة المموهة إلى معنى المناقشة الخاصة التي تولد العلم، وهي مناقشة بين اثنين

¹ أفلاطون نفس المصدر السابق ص111

أو أكثر أو مناقشة النفس لنفسها، بل ذهب إلى أبعد من هذا فأطلق اللفظ على العلم الأعلى الذي ليس بعده مناقشة.

وحل الجدل بأنه المنهج الذي يرتفع العقل به من المحسوس إلى المعقول لا يستخدم شيئاً حسياً، بل ينتقل من معانٍ إلى معانٍ بواسطة معانٍ، ثم بأنه العلم الكلي بالمبادئ الأولى والأمور الدائمة يصل إليه العقل بعد العلوم الجزئية، فينزل منه إلى هذه العلوم يربطها بمبادئها وإلى المحسوسات يفسرها.

فالجدل منهج وعلم يجتاز جميع المراتب الوجود¹ من أسفل إلى أعلى وبالعكس، ومن حيث هو علم فهو يقابل ما نسميه الآن نظرية المعرفة بمعنى واسع يشمل المنطق والميتافيزيقيا جميعاً (3).

وللجدل الصاعد شرط آخر، فإن المحسوسات على تغييرها تمثل صوراً كلية ثابتة هي الأجناس والأنواع، وتحقق على حسب أعداد وأشكال ثابتة كذلك، فإذا فكرت النفس في هذه الماهيات الثابتة أدركت أولاً أن لا بد لاطرادها في التجزئة من مبدأ ثابت، لأن المحسوسات حادثة تكون وتفسد، وكل ما هو حادث فله ثابتة ولا تتداعى العلل إلى غير نهاية، وأدركت ثانياً أن الفرق بعيد بين المحسوسات وماهياتها، فانم هذه كاملة في العقل من كل وجه من المحسوسات تتفاوت في تحقيق الماهية ولا تبلغ أبداً إلى كمالها، وأدركت ثالثاً أن هذه الماهيات بهذه المثابة معقولات صرفة كالتى ذكرناها الآن: فيلوم مما تقدم أن كامل الثابت أول، وأن الناقص محاكاته وتضاؤله، وأنه لا يمكن أن يكون المعقول الكامل الثابت قد حصل في النفس بالحواس عن الأجسام المتحركة، ويقال مثل ذلك من باب أولى عن المجردات التي لا تتعلق بالمادة، فلا يبقى إلا أن الماهيات جميعاً حاصلة في العقل عن موجودات مجردة ضرورية مثلها لما هو واضح من أن المعرفة شبه المعروف حتماً، فتؤمن

¹ الدكتور محمد بيسار، الفلسفة اليونانية، المرجع السابق ص 94.

النفس بالعلم معقول هو مثال العالم المحسوس وأصله يدرك بالعقل الصرف، الماهيات تحققت فيه بالذات على نحو تحققها في العقل مفارقة للمادة بريئة عن السكون والفساد.

• الجدل النازل:

ولكن العلم حكم شيء ما هو كذلك وكذا والمثل قائمة بأنفسها فكيف يمكن الحكم عليها، والحكم يعني أن شيئاً (الموضوع) مشارك في الشيء (المحمول)؟ هل المثل منفصلة بعضها عن بعض أو مشاركة كلها في كلها أم بعضها مشارك في بعض دون بعض؟ الفرض الأول يرجع إلى مذهب بارمنيدس أي إلى السكون التام فيستحيل معه الحكم، فنه إذا لم تكن الحركة مشاركة في الوجود فليس هناك حركة، وإذا لم يكون السكون مشاركا في الوجود فليس هناك سكون¹.

والفرض الثاني يرجع إلى موقف هو فليطس أي إلى الاختلاط العام والتغير المتصل فيستحيل معه الحكم كذلك، فإننا إذا قبلناه لزم منه أن السكون في الحركة،² وأن الحركة في سكون. يبقى الفرض الثالث وهو الصحيح، والجدل هو الذي يتبين ملائمة المثل بعضها لبعض، وهو رأس العلوم يجدل العلم ممكنا لأنه يرى المثل مترتبة في أنواع وأجناس أن يرى بعضها مرتبطا ببعض بواسطة مثلا على واعم، وهذه مرتبطة كذلك بمثل أعلى واعم وهكذا إلى مثال أول قائم فوقها جميعا هو الخير بالذات، ويرى مبادئ العلوم مترتبة من الأخص إلى الأعم حتى يصل إلى مبدئين أساسيين هما مبدأ عدم التناقض ومبدأ العلية، فالأول قانون الفكر بين بنفسه لا يقام عليه برهان ولا اعتراض ويقوى استمساكنا به إذا نظرنا إلى ما يترتب على إنكاره من نتائج هي النتائج التي ينتمي إليها بروتاغوراس وإضرابه، ومبدأ العلية قانون التغير وهو على شكلين: مبدأ العلة الفاعلية والعلة الغائبية. ويضع الجدل هذه العلاقات في أحكام الذي يعني أن الشيء هو هو، وفي آن واحد شيء آخر (المحمول) (وفي غيره) مع

¹ نفس المرجع السابق ص111

² Edrar Moran :Vivre avec Heraclite ;Edition ; Influence ; p :102

بقائه هو هو، والعلم استقصاء هذه المشاركات بين المثل، فإن أضاف مثالا لمثال مشارك فيه كان صادقا، وإن ألف مثالين ليس بينهما مشاركة كان كاذبا.

كيف يستكشف الجدل العلاقات بين المثل ليؤلفها في أحكام؟ وبعبارة أخرى كيف يترتب المثل في أجناس وأنواع فيتصور العالم المعقول على حقيقته؟ بالنزول من ارفع المثل إلى أدناها - وهذا هو الجدل النازل، ووسيلته القسمة، فإن قسمة الجنس ممكنة بخصائص نوعية تضاف إليه فتضيق ما صدقه، وتجدل في أقساما مختلفة لها أسماء مختلفة وتشارك مع ذلك في معنى واحد

وللقسمة قواعد تتبع ومخاطر تجتنب: يجب أن تطابق طبيعة الشيء فلا تقسم إلا حيث تقتض الطبيعة القسمة كما يجزأ الحيوان في مفاصله من غير تهشيم، ويجب أن تكون تامة فتستخرج من الجنس نوعين أو ثلاثة ومن كل منها صنفين أو ثلاثة حتى تنتمي إلى البسائط، أما ما يتحرز منه فهو اعتبار المركب بسيطا والعرض جوهريا¹. والقسمة المثلى هي الثنائية كأن تقول: السياسة علم والعلم نظري وعملي والسياسة تدخل في الطائفة الأولى، والعلم النظري علم يأمر وعلم يقرر والسياسة تدخل في الطائفة الأولى وهكذا حتى يتعين معنى السياسة².

أنواع المعرفة ومراتبها

-أنواع المعرفة

استقصى أفلاطون أنواع المعرفة وكانت أربعة: الأول الإحساس وهو إدراك عوارض الأجسام أو شباحها في اليقظة وصورها في المنام، الثاني الظن وهو الحكم على المحسوسات بما هي كذلك، والثالث الاستدلال وهو علم الماهيات الرياضية المحققة في المحسوسات، والرابع التعقل وهو إدراك الماهيات المجردة في كل مادة وهذه الأنواع ترتبة

¹ Jean-François Pradeau Hiraclite : Citations et témoignages Paru le 4 avril 2018 ;p200

² يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 84

بعضها فوق بعض تتأدى النفس من الواحد إلى الذي يليه بحركة ضرورية إلى أن تطمئن عن الأخير، وسوف نتناول هنا بالدراسة كل نوع من هذه الأنواع الأربعة:

- **الإحساس:** هو أول مراحل المعرفة ويقول أفلاطون أن الهيرقليطين يدعون إلى المعرفة مقصودة عليه وأنه ظاهرة قائمة بذاتها متغيرة ابداً ليس لها جوهر تقوم به ولا قوة تصدر عنها، ولكن لو كان الإحساس كل معرفة كما يقولون لاقتصرت المعرفة على الظواهر المتغيرة ولم ندرك ماهيات الأشياء.¹

لقد أثبت أفلاطون أو قوة في أنفسنا تغاير الحواس كل المغايرة يسميها (المركز المركب) ويرى أن وظيفة هذه إدراك الموضوعات المختلفة للحواس، وفي مقدور هذه أن تتركب بعضها بعض في ظاهرة الحس، وفي وقت واحد بينما الحاسة لا تدرك إلا ما هو موضوع إدراكها فقط: ويحاول أفلاطون إقامة الدليل على وجود هذه القوة بما يلي :

- أنه لا يكفي لفهم مدلول القوى أن نسمعه في أذهاننا ونراه بأبصارنا وإنما تتخذ إدارة الحس كطريق تنبيه للأداة الحقيقية يتم بها الإدراك وهي القوى المدركة في النفس.

- أن الإحساس المباشر بشيء ما يتساوى بين العلم والجهل غير أن النتائج مختلفة فالعلم يخير ويؤيد الواقع بصدق إخباره وهذا دليل على وجود قوة تعلم وقوانين لا تتغير، كما تتغير المحسوسات.

- إذا قارنا الإحساسات بعضها ببعض فنقول مثلاً أن اللون والصوت كل منها عين نفسه وغير الآخر، وما دام أنهما متباينان فإدراك العلاقات المترتبة على ذلك تختلف كل الاختلاف عن الإحساس ويلخص أفلاطون إلى أن المعرفة ليست من الإحساس وإنما هي حكم القوة المدركة في النفس على الإحساس وهذا هو مناط الفرق بين الإنسان والحيوان ولصح القول بروتاغوراس² أن الإنسان مقياس الأشياء، وأن ما يظهر لكل

¹ محمد على أبو ريان، نفس المرجع السابق ص50

² يُعد بروتاجوراس (411-485 ق.م) Protagoras واحداً من أهم الفلاسفة السفسطائيين اليونان؛ الذين لم يأخذوا حقهم الكامل من البحث والدراسة، وإن كان هذا راجعاً إلى سوء السمعة التي ألصقت به وبفلسفته من قبل بعض مؤرخي

فرد فهو عنده على ما يظهر، فأصبحت جميع الآراء صادقة على السواء، المتناقض منها والمتضاد وامتنع القول أن شيئاً هو كذا أو كذا على الإطلاق ليس فقط في النظريات بل السياسة والأخلاق والصناعات أيضاً¹ إذا كان الإدراك الحسي هو الحقيقة فإن الإنسان يكون هو معيار جميع الأشياء باعتباره كائناً مدركاً.

في كل حسي هنالك عناصر لا تأتي على طريق الحواس فلنفرض أنني أقول (هذه القطعة من الأوراق بيضاء) فقد نضمن أن هذه العبارة حكم محض عن الإدراك فلا شيء يتقرر سوى أدركه عن طريق حواس ولكن إذا تمعنا فيها لن نجد الأمر كهذا، إذن فإن تفكيري يتضمن المقارنة والتصنيف.

=الفلسفة، فلقد تنوعت اهتمامات بروتاجوراس الفلسفية بين إبستمولوجية، وأخلاقية، ودينية، ومنطقية، ولغوية، وخطابية... إلخ.

¹ أفلاطون في السفسطائيين والتربية، ترجمة عزت قرني، دار قباء للنشر، والطباعة دط، 2001ص105

...البحث الثاني: حركة الاحياء ودورها في بزوغ الفكر الحديث

ظهرت هذه الحركة بين القرنين الأخيرين أي من 1300م إلى 1500 حيث أخذ المثقفون في المدن يهتمون بالتقريب عن الآثار والمخلفات اليونانية و الرومانية القديمة ويحاولون دراستها والاستفادة منه. ولكن لم تكن هي النهضة ذاتها بل هي مظهر من مظاهر ها وبداية طيبة لها. اعتمدت على دراسة المخطوطات الاغريقية واللاتينية التي بحثوا عنها في الأديرة وشبه الجزيرة الإيطالية والولايات الالمانية وغيرها فتنافسوا في سبيل الحصول أكبر قدر ممكن من هذه المخطوطات ويعتبر "باترارك" أول زعيم لتلك الحركة فقد كرس حياته في إيطاليا لدراسة الأدب¹.

انتقلت في عصر الاحياء زعامة الحركة الى فرنسا وبلجيكا والمانيا اما في إيطاليا واسبانيا فقد كانت التوماوية الجديدة تميل الى البقاء في عزلة كأنما هي صوامع الكهنة. غير أن المعهد العالي للفلسفة بلوفانالذي أنشأ عام 1889 تحت اشراف "ديزيرية ميرسي" كان أقوى مركز للتوماوية التقدمية وبفضل علماء من هذا التقليد ظهرت في العصر الحديث نظرية المعرفة والتي أثرت منذ ديكارت. وبفضلها تبين انسجام العالم مع نظرة الرجل الحديث، الذي ينبغي عليه أن يكون مستعدا للتوصل من كل ما أثبتت الأيام بطلانه لكي يتمثل الاضافات الايجابية التي جاءت بها فترة العصر الحديث كما لا بد له أن يتحدث لغة يستطيع أن يفهمها الجميع معاصريه ومن الكتب التي قامت بمجهود لتحقيق تلك المطالب كتاب "نزع القديس توما العقلية" لبييرريسيلو، وكتاب نقطة البداية في المتافيزيقا "الجوزيف مارشال"²

منبين العوامل الاساسية التي ساهمت بقوة في بزوغ الفكر الحديث نجد أنه تاريخيا ، تمثل في استرداد الأسبان للأندلس في أواخر القرن الخامس عشر، مستولين بذلك على

¹ عبد الحميد البطريق، التاريخ الاوروبي الحديث، من عصر النهضة الى مزتمر فيينا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1997، ص63

² فؤاد كامل وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، المركز القومي للترجمة، 1963، ص159

ذخائر التراث العربي التي وجودها هناك. بالإضافة إلى ظهور حركة الكشف الجغرافية، حيث اكتشف ماجلان طريق رأس الرجاء الصالح الذي يدور حول إفريقيا، مما مكن لأوروبا طريقاً آخر للهند وشرق آسيا غير الطريق الذي يمر عبر المشرق العربي والإسلامي، وحيث اكتشف كولومبوس قارة أمريكا سنة 1492، وفتح بذلك آفاق جديدة للتجارة مع العالم الجديد والاستيطان به. والحقيقة أن نفس هذه الفترة كانت فترة توسع الأتراك العثمانيون في أوروبا الشرقية، إذ قد نجحوا في فتح القسطنطينية سنة 1453، وكان هذا عاملاً أساسياً على إصرار أوروبا في الكشف الجغرافية وفي التوسع في العالم الجديد، كي تعوض ما فقدته للعثمانيين في الشرق. كل هذا خلق جواً جديداً لأوروبا، تعرفت فيه على العالم وتاجرت وتوسعت واتسعت بذلك آفاقها الفكرية والأدبية والفنية، إذ لم يكن من الممكن لأوروبا التي كانت محبوسة في قارتها الصغيرة أن تنتج فكراً وآداباً إنسانية وعالمية، وقد وفرت لها الكشف الجغرافية وحركة التجارة العالمية وحركة استيطان العالم الجديد مجالاً للإبداع الإنساني العالمي.¹

ومن بين العوامل التي أدت إلى ازدهار الفكر الفلسفي نجد ازدهار العلوم التجريبية أن هذا الاكتشاف من العوامل التي أدت إلى فقدان الثقة بكل الفلسفات والعلوم الموروثة وخاصة فلسفة أرسطو، مما مكن الفكر الأوروبي من التحرر من ثقل تراث الماضي والبحث بنفسه عن أسرار الكون²

وبعد كوبرنيكوس جاء العالم الألماني يوهانس كبلر (1571-1630) الذي أحدث ثورة أخرى في علم الفلك والرياضيات، إذ أضاف إلى نظرية كوبرنيكوس تعديلاً هاماً يذهب إلى أن دوران الكواكب حول الشمس

¹ أشرف حسن منصور - الفلسفة الحديثة: عوامل نشأتها وخصائصها العامة : الحوار المتمدن-العدد: 3213 - 2010 /

12 / 16:03 < www.m.ahewar.org

² أحمد أمين قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1936، ص36

لا يأخذ شكل الدائرة الكاملة بل الشكل البيضاوي، كما اكتشف أن حركة الكوكب تتسارع في مداره عندما يقترب من الشمس وتتباطأ عندما يبتعد عنها، وكان هذا مما ساعد اسحق نيوتن بعد ذلك على اكتشاف القوانين العامة للجاذبية. وكذلك اكتشف كبلر العلاقة الوثيقة بين علم الفلك والرياضيات، حيث أدرك أن الرياضيات هي أداة البحث في الفلك والفيزياء عامة. كما أحدث العالم الإيطالي جاليليو (1564-1642) ثورة علمية أخرى عندما اكتشف العلاقة بين الكتلة والسرعة وبين الساكن والمتحرك في الأجسام في حالة الاصطدام، وظاهرة تسارع وتباطؤ السرعة، ووضع نظرياته في صورة رياضية دقيقة مما مكن العالم من اكتشاف الطابع الرياضي للقوانين الفيزيائية.

والى جانب الروح العلمية تطورت فنون الصناعة، ذلك لأن الحروب التي دخلتها البلدان الأوروبية آنذاك أدت إلى زيادة استخدام البارود والأسلحة النارية، مما شجع على تطور الأبحاث الكيميائية والصناعات المعدنية. والملاحظ كيف تداخلت هذه الفنون مع تطور العلم الحديث، فعندما كان جاليليو يدرس سقوط الأجسام والعلاقة بين الكتلة والسرعة والجاذبية ضرب مثلاً شهيراً وهو قذيفة المدفع التي تأخذ مساراً منحنياً، ودرس بدقة سرعة القذيفة والعلاقة بين المنحنى والمسافة التي تقطعها. وكان أهم اختراع في هذا العصر هو اختراع المطبعة على يد جوتنبرج. والحقيقة أن هذا الاختراع كان له أبلغ الأثر في أن يأخذ الفكر الحديث طابعاً جديداً مختلفاً عما سبقه. إذ انتشر الكتاب المطبوع وأصبح للقراءة جمهور واسع، ولم تعد الفلسفة مقيدة بفئة محددة من المتخصصين بل أصبحت شأناً عاماً لكل المثقفين، حتى أصبحت مؤلفات الفلاسفة تقرأ من جمهور عريض مثل الأعمال الأدبية، وبذلك لم يعد الحكم على الأفكار في يد طائفة من رجال الدين أو الأكاديميين بل احتكم الفلاسفة إلى كل من له عقل سليم وفكر حر وبصيرة ذاتية، وكان هذا عاملاً على انتشار النزعات العقلانية والإنسانية في الفكر الغربي.

وثالث عوامل نشأة الفكر الفلسفي الحديث هو ظهور عصر النهضة الأوروبية ابتداء من القرن الخامس عشر، وقد كانت نهضة شاملة، فكرية وأدبية علمية.¹ ظهرت بدايات عصر النهضة عندما فتح الأتراك القسطنطينية سنة 1453 واسترد الأسبان آخر جزء من الأندلس وهو غرناطة في تسعينات القرن الخامس عشر،² وانتقل بذلك التراث اليوناني والروماني إلى غرب أوروبا، فظهرت حركة واسعة لإحياء الآداب اليونانية واللاتينية كانت هذه الآداب تركز على الإنسانيات مما أدى إلى ظهور نزعة إنسانية قوية في الفكر الأوروبي، ولم يمنع إحياء التراث اليوناني الفكر الأوربي من أن يأخذ موقفاً نقدياً منه، فقد توافق هذا الإحياء مع نقد واسع وشامل لفلسفة أرسطو عن طريق الاستعانة بفلسفة أفلاطون وأفلوطين والأفلاطونية المحدثه، وظهر هذا بصورة واضحة لدى جيوردانو برونو (1548-1600) وتوماسو كامبانيلا (1568-1639)، أو الاستعانة بالمنهج التجريبي في حالة فرنسيس بيكون، إن نقد المنطق الصوري الأرسطي الذي يعتمد على مقدمات عامة نظرية وعقلية صرف وأكد على ضرورة الاعتماد على الملاحظة والتجربة والاستقراء.

¹Hàris Vlavianos, Histoire de la philosophie occidentale en 100 Haïku r Centre culturel hellénique - Nuit de la littérature : 2020 p55;

² اشرف منصور نفس الموقع السابق يطلع عبر الموقع الالكتروني السابق

البحث الثالث: حركة النهضة

انتشر عصر النهضة في القرن الخامس عشر إنتشاراً سريعاً من منشأه في فلورنس، أولاً إلى باقي إيطاليا، وبعدها بقليل إمتد إلى أنحاء أوروبا. وكان لإختراع آلة الطباعة أبلغ الأثر في الإسراع من إنتشار تلك الأفكار الجديدة. وفي خلال إنتشار تلك الأفكار فقد تنوعت وتتغيرت لتتكيف مع الثقافة المحلية لكل بلد تدخل فيها. في القرن العشرين، بدأت مدارس عصر النهضة في الإنقسام إلى مدارس إقليمية ووطنية تشمل:

- النهضة الإيطالية
- النهضة الإنجليزية
- النهضة الألمانية
- النهضة الشمالية
- النهضة الفرنسية
- نهضة الجزر الشمالية
- النهضة البولندية

النهضة الاسبانية وغالباً ما يرى مؤرخو الفن أن عصر النهضة يبدأ من القرن الثالث عشر، مع فن جوت و تشيمابو، وينتهي في أواخر القرن السادس عشر بأعمال مايكل أنجلو، ورسامي فينيسيا مثل تيتيان. ومن ناحية أخرى، يتبنى الباحثون في مجال الأدب في العالم الأنجلو-أمريكي منظوراً مختلفاً فيركزون على نشأة الأدب الإنجليزي باللغة العامية في القرنين السادس عشر والسابع عشر في شعر ودراما سبنسر وشكسبيري وميلتون. أما المؤرخون، فيتبنون نهجاً مختلفاً، حيث يطلقون على الفترة من حوالي 1500 إلى 1700 «أوائل العصر الحديث»، بدلاً من «عصر النهضة». وقد ازدادت حدة هذه الاختلافات في تأريخ — وحتى تسمية — عصر النهضة لدرجة أثارت الشكوك في صحة هذا المصطلح؛ فهل لا يزال للمصطلح أي معنى؟ وهل من الممكن فصل عصر النهضة

عن العصور الوسطى التي سبقته وعن العصر الحديث الذي تلاه؟ وهل هذا المصطلح يدعم الاعتقاد بالتفوق الثقافي الأوروبي؟ للإجابة على هذه الأسئلة، علينا أن نفهم أولاً كيف ظهر مصطلح «عصر النهضة» إلى الوجود.¹

لم يكن عصر النهضة فترة انجاز عظيم في الفلسفة ولكنه أدى الى بعض الأمور التي كانت تمهيدات جوهرية لعظمة القرن السابع عشر فقد قوّض أولاً النظام المدرسي الصارم الذي غدى سترة عقلية ضيقة² وأحيا دراسة افلاطون ومن ثم اقتضي على الأقل فكراً مستقلاً بالقدر الذي يستلزمه الاختيار بين افلاطون وارسطو. وبالنسبة الى الفيلسوفين معا شجّع عصر النهضة على أن تتم عنهما معرفة أصلية تأتي من مصدرها الأول كما شجع عصر النهضة على النظر العقلي على أنه مغامرة اجتماعية مبهجة، لا على أنه تأمل منعزل يستهدف الحفاظ على المعتقدات المفروضة سلفاً³. كما أنّ تطوير أساليب الحكم، وقد ساعدتهم في ذلك الأفكار الجديدة مثل افكار المفكرين ميكيا فيلي الايطالي Machiavelli وجون رودان الفرنسي Jean Rodin و الانجليزي هوبس Hobs وتدفق الثروات، الناتجة عن الكشوفات الجغرافية الكبرى ، واستغلال مناجم الذهب والفضة للقارة الامريكية ، خاصة من طرف اسبانيا والبرتغال في البداية. فساندت الطبقة المتوسطة الملوك على استتباب الأمن والنظام، والقضاء على الإقطاع فضلاً عن تكون الرأي العام ونمو اللغات المحلية وظهور الروح القومية، ولقد كان لهذه العوامل أثرها الفعال في قيام الدول الأوروبية الحديثة.

¹ جيرري بروتون، عصر النهضة، ترجمة ابراهيم البيلي، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، ط2012، ص14

² Gunnar Skirbekk; Nils Gilje Une histoire de la philosophie occidentale: De la Grèce antique au vingtième siècle : Editeur : Hermann, 2010, p100

³ برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث الفلسفة الحديثة، ترجمة د/ فتحي الشنيطي، المطبعة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1977، ص19

...البحث الرابع: النزعة الإنسانية: Humanism

حركة فلسفية وأدبية راجت في إيطاليا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، وامتدت منها إلى بقية بلدان أوربة الغربية، وكانت من أهم عوامل إرساء العلم والثقافة المحدثين. والإنسانية هي كل دعوة موضوعها الإنسان، تؤكد فيه كرامته، وتجعله مقياس كل قيمة. وهي اشتقاق من Humanitas اللاتينية بمعنى تعهد الإنسان لنفسه بالعلوم الليبرالية التي بها يكون جلاء حقيقته كإنسان متميز عن سائر الحيوانات¹.

في البداية كان مصطلح (إنساني Humanist) يشير إلى مجموعة من المتخصصين في الآداب و العلوم الإنسانية، تواجدُ مقابلاً للسلطة الكنسية في بداية عصر النهضة في أوربا، وقد كان التوجه الأساسي لهم أدبي وفني، دعوا إلى بعث الإنسان من رقاد القرون المظلمة، وأحياء الآداب والعلوم اليونانية القديمة، بما تنطوي عليه من أفكار عقلانية وطبيعية، وقد كانت تمثل حتى عصر النهضة ذروة ما وصل إليه التفكير الإنساني، وكذلك دافع إنسانيو النهضة عن حرية الفكر والنشاط الإبداعي، و دعوا إلى استقلال السياسية، والمجتمع، والثقافة، و العلم، عن الكنيسة ورجال الدين.

ويعتقد أتباع هذه النزعة أنه يمكن لإنسان العصور الوسطى الذي ضل طريقه وتاه عن حقيقته أن يعود إلى تراثه الثقافي الإنساني، إلى الفلسفات اليونانية العظيمة السابقة له كي يحيي الروح الإنسانية التقليدية التي تُعنى بتمثل الإنسان لنفسه والتفكير في حياته على الأرض، وإثراء روحه وكذلك بدنه بوصفه جزءاً من الطبيعة والأرض. لذلك أنف أتباع الإنسانية من الزهد وأنكروه على الدين واستهدفوا اللذة وكان فيلسوفهم أبيقور، ومع ذلك لم يكونوا ضد الدين أو فرديين، فدعواهم للاندماج في الطبيعة تأكيد على قيمة الإنسان التي أقرها الدين. قام كل من غاليلو وإيراسموس بالتطور من عصر النهضة إلى الإنسانية في القرن التاسع عشر والعشرين، أما الناقد غينيس أوضح أن كلمة إنساني تعد مصدراً لقلق

1 ماذا تعرف عن النزعة الإنسانية ؟ - المكتبة العامة maktaba-amma.com <

البشرية، وفي عصر النهضة تطورت النزعة الإنسانية العلمانية وخاصة بعد الانقسام بين العقل والدين و الإشكال الرئيسي في الفلسفة الحديثة هو إشكال معرفي، يتمثل في التساؤل عن إمكانية وحدود المعرفة البشرية، وعن الكيفية التي تكون بها هذه المعرفة ممكنة.

وقد تميزت الفلسفة الحديثة بسيادة نزعة الأنسنة¹ التي أعادت الاعتبار للعقل البشري، و آمنت بقدرته على فهم العالم و السيطرة على الطبيعة.

و هكذا أصبح الاعتقاد بأن العالم لم يعد غريباً، و بأن الطبيعة بإمكانها البوح بكل أسرارها، فقط يجب أن تتوفر الوسائل اللازمة لذلك.

من الناحية التاريخية انسانيون كثر، أمثال كوريس لامونت، وبول كورتز، وجيم هيريك، يعودون بالأسس الفكرية للنزعة الإنسانية إلى فلاسفة وأدباء اليونان، باعتبارهم المرجعية المركزية لإنساني عصر النهضة، من أمثال سقراط، وطاليس، و أبيقورس، و أفلاطون، وأرسطو، واليونان الأيون، و وسواهم عديدون. بيد أنهم لا يغفلون تأثير فلاسفة من روما القديمة، إلى جانب بوذا، و كونفوشيوس، وزرادشت، و غيرهم من الفلاسفة الآسيويين، وتقاليدهم، و حركات هندية، موعلة في القدم. و عليه ندرك بأن النزعة الإنسانية ليست غريبة بحتة، بل هي رؤى فلسفية، نابعة من كل الإنسانية، وعبر تاريخها الطويل، وهو أيضاً بمنطق الإنسانيين القائل أن كل أسهام علماني وعقلاني هو جزء من المجموعة المفاهيمية الإنسانية، و جزء من تيارها الفلسفي، وبذا يكون لها وجودها و عمقها الفكري النابض - أي النزعة الإنسانية - على مدى تاريخ البشر المعرفي. رغم أن صياغاتها الابرز، وتطبيقاتها العملية، تمت بجهود فلاسفة ونشطاء الغرب حديثاً².

¹Michel-de-Montaigne Humanisme, scepticisme ;

² النزعة الإنسانية.. تاريخها وأطوار نشأتها، الفضاء الشرقي للفلسفة، اطلع عليه عبر الموقع ، Posted by zkhani on فبراير 21, 2013
safe_image.php

- النزعة الإنسانية في عصر النهضة

كان ينظر إلى العصور الوسطى على أنها تمثل فجرا جديدا بالنسبة إلى عصور من الظلام عاش فيها الغرب إبان حكم الامبراطورية الرومانية. لكن ما إن لاح عصر النهضة حتى بدا أنه فجر جديد بالقياس إلى العصور الوسطى التي أصبح يقال عنها إنها عصور الظلام. وسبحان الله فالق الإصباح، هو الذي يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل. وكان من الطبيعي أن تتحول الأنظار بصفة خاصة في عصر النهضة إلى الفلسفات اليونانية أو إلى التراث اليوناني. لماذا؟ لأن مفكرى عصر النهضة وجدوا في هذا التراث إعزازا وإكبارا للعقل الإنساني وقيمه وكرامته. وهي أمور كانت العصور الوسطى المسيحية قد قضت عليها أو كادت، إذ لم يكن لها مكان إلى جوار الله والكنيسة، بالرغم مما في هذه النتيجة من منطق معكوس لا يتفق مع طبيعة الأمور لو استقامت، إذ إن الحياة الدينية المزدهرة لا يمكن إلا أن تؤدي إلى كرامة الإنسان واحترام عقله ، ولا تنتهي أبدا إلى طمس العقل وقهر أو إهدار إنسانية الإنسان. على أي حال، فإن قدوم عصر النهضة قد حمل معه إحياء التراث اليوناني من أجل هذا السبب ، بالرغم من أن هذا التراث وثني في طابعه العام ولم يقدم عن الله والألوهية إلا صورا لا تتفق مع الصورة التي قدمتها الأديان المنزلة. ويبدو أن رجال عصر النهضة ومفكره وجدوا أكثر من وجه شبه بين المجتمع الأثيني ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن الخامس قبل الميلاد والمجتمع العبودي والإقطاعي الذي كان سائدا قبل ذلك في كل من أثينا وأوروبا، وما تلا ذلك من ظهور فجر مجتمع جديد تميز بالمناداة بالحرية الفردية والاقتصادية وشیوع الروح الديمقراطية والنزعة الإنسانية¹.

إلا إنه ينبغي أن لا يغيب لحظة واحدة عن بالنا - نحن المسلمين والشرقيين - أن التوجهات الفكرية التي ظهرت في عصر النهضة الأوروبية بالرغم من أنها توجهات طيبة لا بأس من الاستفادة منها في بلادنا فإنه قد صاحبها أمور خاصة تمنعنا من اتخاذ عصر النهضة الأوروبية - من الناحية الفكرية على الأقل وهو ما يهملنا هنا بصفة خاصة - نموذجا

¹ يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية ، دار المعارف، القاهرة مصر ، ط2015، ص26

لنهضتنا أو لصحوتنا المأمولة. فالعودة في عصر النهضة إلى التراث اليوناني أو إلى ما يسمى بالجدور للفكر الغربي قد صاحبتة نزعة لتصديق ما يسمى بالمعجزة في وصف العقلية اليونانية التي ازدهر على يديها التفكير الفلسفي على نحو وصف بأنه غير مسبوق. وقد استمرت هذه النزعة واضحة في كل ما يصدر عن الحضارة الغربية. لكن هذا أمر مشكوك فيه لأننا نجد مجموعة ضخمة من الأفكار والتيارات واللمحات الفكرية في حضارات الشرق القديم وفي مصر وفي الحضارة الإسلامية - تؤكد لنا أن الحديث عن المعجزة اليونانية كان مبالغاً فيه إلى حد كبير. وبالإضافة إلى هذا فإن المناداة بقيمة الإنسان الفرد في عصر النهضة ارتبط بقوة المال التي أصبحت تحرك كل شيء واتخذت أساساً للتحركات الاستعمارية والتيارات الرأسمالية التي صاحبت أو كانت وراء نمو النشاط الاستكشافي على يد الأوروبيين. ومعنى هذا أن قيمة الفرد هنا كانت مرتبطة بنمو رأس المال وظهور الميل إلى المغامرة والاندفاع في الحياة لتحقيق النجاح والثراء أولاً وقبل كل شيء وكانت كل هذه التوجهات على حساب قيم أخرى في الفرد تعلو فيه أصوله الدينية وقيمه الأخلاقية وأياً ما يكون الأمر فقد بات من واجبنا أن لا نتحدث عن عصر النهضة الأوروبية إلا وعيوننا مفتوحة على حضارتنا الإسلامية العربية والشرقية، وبعبارة أخرى ينبغي أن لا يخلو عن تلك النهضة من الحيطة والحذر بقدر ما يخلو في الوقت نفسه من العتصب الأعمى المذموم، وعلينا أن لا ننسى على أي حال أن المناداة بقيمة الإنسان في كتابات رجال النزعة الإنسانية إبان عصر النهضة كانت موجهة بصفة خاصة إلى شمولية الملكية وضد الكهنوت المسيحي أيضاً ممثلاً في سلطة الكنيسة. الأمر الذي أدى إلى ظهور جماعات الفرنسيكان ضد الدومينيكان، وذلك لتحرر الكنيسة من صرامة البابوية ولتحرر الفكر من تلك التيارات العقلية والتأملات الفلسفية التي غلبت على الفلسفات المسيحية التي كانت قد ظهرت في العصور الوسطى، وكل هذا من أجل أن تقترب المسيحية من دين القلب الذي بشر به السيد المسيح،¹ ومن الإنسان المسيحي الطيب الذي يحتكم إلى فطرته وإلى أصوله الدينية. وليس

¹ نفس المرجع السابق، ص 28

من شك في أن هذا الإتجاه إلى الإنسان في عصر النهضة قد أدى أيضا إلى التقليل من قيمة الدراسات الكونية الكوزمولوجية التي كانت تغلب على اهتمامات فلاسفة العصور الوسطى والأرسطيين منهم بصفة خاصة مما انتهى بهم إلى وفرة بحوثهم الطبيعية الفلكية على حساب الدراسات الإنسانية بوجه عام.



...الفصل الثالث

...الاتجاهات الكبرى في الفلسفة الحديثة.

...البحث الأول الاتجاه العقلاني

تمهيد

اتسمت الفلسفة الحديثة بغزارة الإنتاج الفلسفي الذي يمتاز عما سبقه بالأثر الفردي للشخصيات الفلسفية الرائدة بنزعاتها، ومذاهبها الفلسفية، فكان الاتجاه العقلي أكثر بروزا حينما مثله كل من "ديكارت"، "سبينوزا" "لايبنتز"، باختلاف تصوراتهم، آرائهم حول الحقائق المتعلقة بالنفس، والوجود، الله، العالم، فكانت لهم تأثيرات, متعددة تجاوزت ثقافة عصرهم، وتمكنت من تجاوز فلسفة العصور الوسطى، لذلك نجد أن تتبع مسيراتهم الذاتية، يعد بحق من أهم الدراسات التي تزيد إثراء الدوس الفلسفي في الحقبة المعاصرة التي نعيشها.

وإن كان السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هو: ما الفائدة من تقصي مسيرات فلاسفة عاشوا في فترة كلاسيكية قديمة، مضت عليها قرون من الزمن، عالجوا فيها إشكاليات ومشكلات يمكن أن يقال عنها مفارقة لاحتياجات عصرنا؟

مما لا يمكن إنكاره أن الفلسفة في فترات المتقدمة المعاصرة، قد أصبحت تشير بخطى جيدة في أبحاثها، جادة في أطروحاتها وممنهجة أكثر في معالجتها لمواضيع عصرنا، كارتقاء التقنيات التجريبية، والرياضية المساعدة في حل المشكلات، إلا "أننا مضطرون إلى الاستعانة بنفس الأداة... وهي القدرة على التأمل... كما كانت ميسورة عند ديكارت، سبينوزا، ولوك" حينما نجدهم يستحقون القراءة، لأنهم عالموا قضايا العالم بفكرهم، عقلهم المتبحر في المعرفة، المتأمل في ما هيته.

رواد الاتجاه العقلاني

باروخ سبينوزا (1632-1677)

حياته ومؤلفاته:

ولد باروخ سبينوزا في استردام من عائلة يهودية برتغالية الأصل سنة 1632 - أراد أبوه أن يصير رجل دين، فتلقى اللغة العبرية، والتلموذ والتوراة والفلسفة اليهودية العصر الوسيط كما تعلم صناعة يدوية حسب مقرر تعلموهي صناعة زجاج النظارات، إلا أن سبينوزا كان من المشككين في الدين، وهاجر إلى مدينة الهاي واستبدل اسمه " ببنت يكن" ليقضي حياته في حرفة زجاج النظاراتعن الأوساط البروتستانتية وتحول إلى العلوم الإنسانية.

فقرأ العديد من الفلاسفة العصر المحدثين والمدرسين، القائلين بوجود الوجود علماء الطبيعة والهندسة الديكارتية توفى إثر مرض الصدرية الوراثي له في 23 فبراير 1677 قبل أن يتجاوز سن الرابعة والأربعين من عمره وفي سنة 1877 أقيم له نصب أحد ميادين الهاي يمثلتهمتعقبا في أفكاره.

مؤلفاته:

نشر سبينوزا في حياته كتابين فقط " مبادئ الفلسفة الديكارتية على نسق هندي" وكتاب اللاهوت السياسي وبعد وفاته قام أصدقاؤه في نفس سنة وفاته ينشر كتاب الأخلاق مؤلفا على شكل نظريات هندسية ومعتما إلى خمسة أقسام تبحث في ذات الله، وماهية الروح، ومصدره، وماهية الشهوات ومصدرها والرق البشري أو قوة الشهوات وقدرة العقل أو الخبرة الإنسانية كما له كتاب آخر في السياسة، وبعض الرسائل الخصوصية.

المنهج:

إن تأثر سبينوزا بديكارت جعله لا يقف عند حدود الشك والارتياب كأساس بناء كل معرفة وإنما تمكن من الخروج من باب المأزق المعرفي الديكارتية ليرى أن الضرورة المنطقية

مثل معرفة أية نظرية هندسية بمقدورها أن توصلنا إلى معرفة اليقينية الكاملة، فهو يقول: "أصف الشيء بالمحال إذا دل وجوده على تناقض وأصفه بالضروري عندما يدل وجوده على تناقض، عندما تعتمد ضرورة أو استحالة طبيعية على علل غير معروفة لنا..." فإذا كانت المعرفة حقيقيةحتى الشيء المعروف دون وجود تناقض.

أنواع المعرفة الأربعة: إن الإدراك الفعلي أساس المعرفة عند سبينوزا لجميع الأشياء ولذلك وضع له حالات أربعة:

- الحالة الأولى: هناك إدراك متداول والمعرفة فيه تعتمد على القيل والقال.
- الحالة الثانية: الإدراك المترتب على التجربة والحس.
- الحالة الثالثة: الإدراك الناتج عن استخلاص ماهية الشيء ما من شيء آخر، ولكنها ليست معرفة كافية.
- الحالة الرابعة: الإدراك الذي يظهر عند إدراك ماهية الشيء أو من خلال إدراك علته القريبة، كضرورة منطقية.

وعليه يرى سبينوزا أن الإدراك المتصف باليقين والكفايةعن التجربة الذاتية وهو القريب جدا من المعرفة ماهيات الأشياء وأسباب حدوثها إلا أن حالات الأربعة يعدها سبينوزا "وحدها التي أحاطت بالماهية الكافية للشيء بغير تعرض للخطأ" إلا أنه يرجو المعرفة الحقيقية بالعقل.

فكرة الله: يرى سبينوزا أن الله هو الكمال له القدرة اللامتناهية على الوجود، "فهو موجود بالضرورة" فهو جوهر متصورا بذاته، كما يراه في كتابه "الأخلاق"، فتجنب سبينوزا لفظ الله، وأشار إليه بمصطلح الجوهر، وكذا العلة"، ولذلك تصور لموجود، وكوجود ينتمي إلى طبيعة الجوهر، وتصور عدم وجوده فيكون محالا، لأن ذلك سيؤدي إلى تناقض ذاتي فهو يدعو في تعددية براهنيه عن الله إلى الاستثناء على الحجج .

لايبنتز

التحق لايبنتز بالجامعة، وتخرج منها عام 1663 بعد مناقشته لرسالة " ميتافيزيقية مبدأ الفرد" درس بعدها فقه القانون ونشر بحوثا حول التربية وفق القانون، وبعد اهتمام الكنسية بأفكاره التحق اليها من أجل تنفيذ مشروعاته للمحافظة على السلام فبحث على الأساس العقلي للدين المسيحي بحيث يقبله البروتستانت، والكاثوليك على السواء كأساس للتسامح الديني، كما قام ليبنر باختراع آلة حاسبة لها محسنات كالقسمة والضرب، وفي عام 1676 زار لندن ومكث فيها حتى وفاته عام 1716 م.

لقد كان لايبنتز رياضيا وعالما من الطراز الأول شاطر نيوتن في اكتشاف حساب اللامتناهيات، وأسهم بفكرة الطاقة الحركية في علم الميكانيكا، وكان كذلك فيلسوفا ممتازا فكان مذهبه للنظريات المنطقية المستمد من علم المنطق والميتافيزيقا.

مؤلفاته:

- مقالات لاهوتية في صلاح الله، حرية الإنسان، ومصدر الشر ظهرت سنة 1710،
- البحث الجديد في القتل البشري سنة 1704
- نظرية الجواهر الروحية كتاب طبع سنة 1714.
- كتاب يتضمن عقيدة ليبنر في مذهبي الجبر والتفائل.
- وكتاب موجز فلسفته.
- كما له عدة مقالات أخرى نشرت في جريدة العلماء تبحث في المعرفة الحقيقية، وإصلاح الفلسفة الأولى... الخ.

نظرية الجوهر: لم تقتنع لايبنتز بالجواهر الممتد التي قال بها ديكارت، فلايبنتز يرى جوهر فقال أساسا، فحقيقة الجوهر لديه " من القوة كما يمثلها لنا وجدانيا، وكما نتمثلها في الأشياء بطريقة المقارنة، فالقوة هي كل لوجود يتوافق فيها الواحد، والكثير، الممكن، والواقع "

الموناد: كلمة يونانية الأصل معناها الوحدة وهو اصطلاح فلسفي يشير الى الوحدة البنائية الجوهرية للوجود. ويفسر الموناد بطرق مختلفة من جانب المذاهب الفلسفية المختلفة. فعند الفيتاغوريين مثلا المنا هو وحدة رياضية أساس العالم. وعند جوردانو برونو في كتابه "الموناد والعدد والرقم" هو المصدر الوحيد للوجود وهو ليس الا مادة روحانية. و المناد واحد من المفاهيم الرئيسية¹ في فلسفة لايبنيز وهو القوة التي يمثلها لايبنتز بالجواهر، هي ما ألحق عليها اسم الموناد monade ومعناها واحدة والوحدات هذه لا حصر لها ولعدها، وكلها مختلفة عن بعضها البعض، "لأنه كان شيان يتميزان عن بعضهما البعض لما وجد الله سببا كافيا لأن يخلقها في أزمنة وأمكنة مختلفة وهي أنواع:

- 1- الوحدات البسيطة: التمثيل فيها مشوشا مبهما وتتألف من الأجسام.
- 2- الوحدات الراقية ذات إدراك وتذكر، وهي نفوس الحيوانات تمثيلها ه الإحساسات.
- 3- الوحدات السامية تمثيلها فهم أي معرفة الحقائق العامة الضرورة وهي النفوس البشرية ويدعى تمثيلها إدراك الإدراك.

والله الموناد الفعال التام يفعل بالوحدات كما يشاء منذ بدء الخليفة.

ديكارت رائد الفلسفة الحديثة

وُلد رينيه ديكارت في عام 1596 في لاهاي ، على حدود تورين وبواتو ، في عائلة من النبلاء الصغار ، ولد في نفس العام الذي أثبت فيه كيبلر في أول أعماله المنشورة ، تفوق علم الفلك الحديث (كوبرنيكوس) عن علم الفلك القديم (بطليموس). في الوقت نفسه ، أسس غاليليو ، الذي شغل كرسي الرياضيات في جامعة بادوا الطريقة التجريبية. كان لاكتشافات جاليليو تأثيرا معينا على الكلية الملكية في La Flèche ، التي يديرها اليسوعيون ، الذين تلقوا ديكارت منهم تعليمًا قويًا من 1606 م. است حضر ديكارت، في الخطاب حول المنهج ،رغبته الشديدة في التعلم ، في نهاية دراسته ، بخيبة أمل كبيرة فيما يتعلق بالفلسفة

¹ روزنتال وب.بودين، نفس المرجع السابق صص 512،513

التي تم تدريسها ،والتي تكشف خلافاتها الدائمة عن الطابع المريب ، والذي لا يمكن أن يوفر الأساس ، في حالته الحالية ، للعلوم الأخرى،ولكن بالعكس ،فيما يتعلق بالرياضيات ،فقد كانت قادرة على توفير هذا الأساس بفضل يقينهم وأدلتهم ، ولكن ديكارت يقول أننا لن نقوم ببناء أي شيء بعد .

سافر ديكارت في جميع أنحاء أوروبا ،معتقدًا ،أن تغيير الأجواء والتعرف والاطلاع على مشهد الأعراف والعادات المختلفة يمكن أن يحرر العديد من الأحكام المسبقة.علاوة على ذلك ، فإن كل حياته خضعت للسفر والترحال،¹ وتميزت بتغييرات متعددة في محل الإقامة ، ورفض الاستقرار في مكان واحد ،في هولندا سعى أخيرًا إلى الهدوء الذي لم يتمكن من العثور عليه في فرنسا، التي لا تزال ممزقة بسبب حروب الدين ، حتى في هولندا ،لم يستطع تجنب هجمات الكالفينيين والخلافات اللاهوتية التي صدته ، كما يتضح من نزاعاته مع جامعة أوترخت من 1643م إلى 1645 م، وجامعة ليدن في 1647م

تفتح هذه المسيرة الحياتية الحافلة بالتميز والنشاط نوعية خاصة فيما ألفه ديكارت،وقد اشتملت على موضوعات الفلسفة العقلية المحضة التي عبرت عن مواقفه من ان كان طالبا إلى ان أصبح صاحب الوعي الكبير في كامل أوروبا،وهذا ما يدفعنا إلى الحديث عن أهم مؤلفاته الفكرية في العنصر اللاحق.

مؤلفاته :

_1 في مجال الميتافيزيقيا: (التأملات الستة) ، مدعومة باعترافات أشهر الفلاسفة في ذلك الوقت (بما في ذلك هوبز ، أرنولد) ، والردود على هذه الاعتراضات ، ظهر عام 1641م وحرص على توضيح فلسفته .

_2 مبادئ فلسفة ألف عام 1644م، بصرف النظر عن العمل المنشور ،يجد ديكارت في رسائل متبادلة مع شخصيات من العالم ،الفرصة لتوضيح عدة نقاط من فلسفته،ومن

¹ زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة لجنة التأليف والنشر القاهرة، 1999 ص95

بينهم: الأب ميرسين ،الأب ميسلاند ، شانوت ، كليرسليز ، هيغينز ،هنري مور. من عام 1643م ، يحتفظ ديكارت ، مع الأميرة إليزابيث ، بمراسلات مخصصة بشكل أساسي للمسائل الأخلاقية ،مما يسمح له بتشكيل أفكاره في هذا المجال وأدى هذا الجهد إلى معاهدة في نفس العام 1649 م،دعته الملكة كريستين من السويد للمجيء إلى ستوكهولم ، والتي قبلها بعد تردد كبير. وقد استقبل بكل الأوسمة،لكنه اضطر إلى نمط حياة مختلف تمامًا عن ذلك الذي اعتاد عليه،وتعرض لمناخ لا يكاد يناسب صحته الهشة دائمًا ،واستسلم للالتهاب الرئوي في فبراير 1650م .

قواعد المنهج عند ديكارت:

في كتابه مبادئ الفلسفة يعرض ديكارت قواعد التفكير العقلي الذي وضع له أربعة مبادئ رئيسة تكون كمنطلق لفهم المسائل العقلية والأخلاقية والميتافيزيقية، وهي كالتالي:

1-**قاعدة الأدلة:** يقول ديكارت: الأول كان عدم تلقي أي شيء حقيقي ،من الواضح أنني لا أعرف أن الأمر كذلك،وهذا يعني تجنبه الترسيب والوقاية بعناية ؛ولا أفهم لأشياء أكثر في أحكامي ، مما يعرض نفسه بشكل واضح ومميز للغاية في ذهني ،لم يكن لدي أي فرصة للشك فيه. حتى لو كان بيانه يكررها ، فهو في الواقع مبدأ واحد ونفس الشيء ،فيما يتعلق بما يجب أن يتم استلامه على أنه صحيح. للحصول على منهجية معينة..

2-**قاعدة التحليل:** لتقسيم كل الصعوبات التي كنت سأفحصها ، في أكبر عدد ممكن من المؤامرات وستكون مطلوبة لهم حل أفضل،ما يبدو صعبًا في الامتحان فقط معقدة ،تتكون من مؤامرات متعددة. إن حل الصعوبة هو الذي يجب أن يقرر ذلك السؤال: عندما ينجح عالم الرياضيات في إنشاء نظرية "صعبة"¹، يربطه بأبسط المقترحات من قبل سلسلة مستمرة من الاستقطاعات ، لأنه يعلم أنه لم يبق شيء آخر يعرف في موضوعها ،الذي يحتوي على نفس العدد بالضبط من الانقسامات، مما استغرق لتشكيل هذه السلسلة .

¹ Descartes :Discours de leMethode ;Paris ;LibrairieDe L.Hachette 1856 p.220

3-قاعدة النظام: قيادة أفكارى بالترتيب، بدءًا من أبسط الأشياء وأسهل معرفتها ،لترتفع تدريجيًا ،كما فى الدرجات ، حتى أعرف أكثرها تأليفاً ؛وحتى نفترض النظام بين أولئك الذين لا يسبقون بعضهم البعض بشكل طبيعى، يتعلق الأمر بترتيب أفكارى ، والذي يرتبط بحقيقة أنه بين أبسط الأشياء وأكثرها تأليفاً ، فإن الفرق هو أن الأول هو أسهل ما يمكن معرفته ،بينما لا يمكن معرفة الثانى إلا بعد معرفة الأولى. الشيء المهم هو الانتقال من واحد إلى آخر حسب الدرجات،فى سلسلة مستمرة ، دون مواجهة فجوة بحيث لا تكون المعرفة السابقة كافية لجعل المعرفة الجديدة واضحة ومميزة .

4- قاعدة العد: وآخر واحد للقيام بهذا كله تهم فى كل مكان ، و مثل هذه المراجعات العامة التى كنت على يقين من أننى لن أغفل أى شيء،فحذف شيء ما يعنى تدمير مبدأ ترتيب الأسباب ،لأن أى شيء لا يمكن رؤيته بوضوح و بشكل واضح فقط إذا شُهد كل من سبقها بالتساوى فى مكانهم،إذا وصل الخصم إلى هذا الكائن ،فهذا يعنى أنه لم يتم حذف أى شيء حتى الآن،ولكن عندما يصبح الخصم طويلاً جداً ،يصبح من الصعب الاحتفاظ به كاملاً ، تحت أنظار العقل ؛ لذلك يميل المرء إلى الاعتماد فقط على ذاكرة المرء. لا ينبغى فهم مبدأ التعداد بدقة على أنه احتياطي بأثر رجعى،ولكن بالمعنى الحالى،كوسيلة لأخذ جميع الأدلة السابقة اللازمة فى الاعتبار كدليل واضح،من المبادئ الأربعة للطريقة ،هى الوحيدة التى تأخذ طابعاً فنياً: هو أننا نواجه هنا الصعوبة الحقيقية الوحيدة للمعرفة، والحقيقة أنها تستغرق وقتاً .ورفض أن يكون للعلم أساس سوى اليقين المطلق شكلت فلسفة ديكارت مهمة معرفية فى جانبين وهما:¹

أولاً_ وصلت إلى التمام، أو ما يقرب من التمام بثنائية الذهن والمادة، التى بدأت مع أفلاطون، وتطورت فى الفلسفة المسيحية، لأسباب دينية على أوسع نطاق، وهذا ما تم تجاهل تلك التفاعلات الغربية التى أسقطها أصحاب ديكارت، فأ يقدم مذهبه يقدم عالميين

¹ عبد المنعم حنفى، الموسوعة الفلسفية ، دار المعارف للطباعة والنشر،سوسة تونس،دط، دت، ص189.

متوازيين ولكنهما مستقلين، عالم الذهن وعالم المادة، كل منهما يمكن دراستهما بالإحالة إلى الحالة الأخرى، فكون الذهن لا يحرك البدن، كانت فكرة جديدة، وكانت الإجابة الديكارتية الصحيحة أن البدن والذهن كالساعتين.

ثانياً_ في النظرية الكلية الصارمة تلتزم الديكارتية بالاحتمية الصارمة، فالكائنات الحية، مثلها تماماً ككل المادة الجامدة، تحكمها قوانين الفيزياء، فلم تعد ثمة حاجة، كما في الفلسفة الأرسطية لمبدأ الكمال أو النفس، لتفسير نمو الأعضاء وحركات الحيوانات، وقد أباح ديكارت لنفسه ليقدر أن النفس البشرية بالإرادة أن تعدل اتجاه حركة الأرواح الحيوانية ¹.

ومن خلال حديه عن ثنائية النفس و البدن والمادة والروح، يتضح موقفه من الميتافيزيقا التي أعطت لمجهوده الفلسفي ميزة الحركة والديمومة والاستمرارية في تليين الفلسفة الديكارتية وجعلها حية، مدركة لجميع جوانب العقل الفكر والاجتماع.

موقفه من الميتافيزيقا: نلمسه من خلال كتابه تأملات الذي أهداه إلى علماء وعمداء كلية أصول الدين المقدسة بباريس وكان قد سألهم فيها أن يؤيدوا آراءه رغم أن منهجه الجديد في الفلسفة فيه اختلاف كبير بينه وبين منهج المدرسين، ولكن رغم هذا الاختلاف العميق يستطيع أن ينصر العقيدة والدين ببراهين قطعية تسكت أفواه الملحد ².

رأى ديكارت أن الفلسفة تبدأ بفلسفة الأولى وهي، الميتافيزيقا كان أن كتب التأملات باعتبارها أساس الفلسفة وقد قال: " الفلسفة تبدأ بالميتافيزيقا...والفلسفة عبارة عن دراسة الحكمة، والحكمة ليست التبصر في الأمور فحسب وإنما هي أيضا وعلى الخصوص معرفة

¹ برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة، ترجمة محمود الشنيطي، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ط1

2017م، ص82، 83

² رينيه ديكارت: التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة وتقديم وتعليق: عثمان أمين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009م، ص07.

نظرية كاملة للجميع، ما يستطيع الإنسان أن يعرفه لتدبير حياته وحفظه وصحته واختراع الفنون¹.

كما يفصح الميتافيزيقا من زاوية الوجود الإلهي، ويستنبط من خلال هذا لوجود أركان الحقيقة التي تنفي كل خطأ لهذا الإله يعتبره خالق العالم، فقد نفى ديكارت عن لإله كل صفة سلبية أو خطأ ناتج عن سوء تصرفنا اتجاه الوقائع والأشياء، وحمل لإنسان مسؤولية خطئه، بقول في هذا الشأن " أن هنالك إلهاً هو خالق كل ما في العلم، ولما كان مصدر كل حقيقة فإنه لم يخلق أذهاننا بحيث تكون عرضة للخطأ فيما تقرر من أحكام على الأشياء التي نتصورها تصورا واضحا جدا ومتميزا جدا ."

من ثم تؤسس الميتافيزيقا عند ديكارت طريقا خاصا يمهّد لانبثاق نظرية معرفية خاصة قوامها العقل والوجود الحقيقي البعيد عن كل لأوهام الخاطئة.

المعرفة عند ديكارت: يقول ديكارت عن حقيقة المعرفة وكيفية الوصول إليها مايلي:

1- أنا أفكر إذن أنا موجود حقيقة نشرق في فكري بحيث لا أجد إمكانا للشك بأي حال من الأحوال وهي حقيقة ثابتة كل مرة شككت فيها في أي شيء،² أو أردت شيئا من الأشياء أيا كان، وهذه القضية ليست أساس اليقين ولا علامته، ولكنها مجرد مثاله، لأنها أولى المعارف المدركة إطلاقا

2- أما نور اليقين أو النور الطبيعي الذي نرى به الحقائق اليقينية فليس شيئا بذاته يقوم متميزا في الذهن، بل هو كشعاع قوي من نور لا يرى إلا واثقا من حقيقة حيثما تكون تلك الحقيقة متصورة في الفكر بوضوح وجلاء وتميز.

¹ المصدر نفسه، 08

² - حنا أسعد فهمي، تاريخ الفلسفة، تر، عقبة زيدان، دار العرب (د،ط) ، سنة 2009، ص 217.

3 -التأكد من يقين الحدس إذا كان كافيا في الشك نحو العقليات والحسيات،حيث يرفض ديكارت الحسيات كسبيل للمعرفة اليقينية،ويرى ديكارت إبقاء الباب مفتوحا لإمكان وجود الكليات التي منها تكون الحسيات، ولإمكان وجود الطبيعة الجسمية ،التي هي الامتداد على أقل التقديرات كعنصر حقيقي وراء الأضاليل.

4 -كل ما تعلق بالحس يقف له الحدس موقف الكفاء ، لأنه يطرح الحس وكل ما تعلق به،كما يطرح المعاني المركبة ويتركها لتبسيط والتحليل.

5- يقين الحدس كفاء لكل شيء، . ولكنه مجرد من الضمان الذي ينقصه حتى يحبط أفاعيل ذلك الشيطان،ويجعل كيده في تضليل

أما عن الأفكار وفطريتها، فيقول:

ولما كانت الأفكار الواضحة والمتميزة التي تقوم عليها كل معرفة يقينية، لا يتم التوصل إليها عن طريق الملاحظة الحسية، فإن مصدرها لابد أن يوجد في الأفكار الفطرية إن الأفكار الفطرية عند (ديكارت) لا تكون في العقل منذ الميلاد، ولكنها “تكون فطرية بالمعنى الذي نقول فيه أن الكرم فطري في عائلات معينة، بينما تكون أمراض معينة مثل النقرس والحصبة فطرية في عائلات أخرى” ولا يقدم (ديكارت) قائمة بالأفكار التي يُنظر إليها على أنها فطرية. فهي تتضمن بصورة واضحة بديهيات الرياضيات، وقوانين الفكر، وقضايا أخرى ينظر إليها على أنها واضحة بذاتها؛ مثل الفكرة التي تقول إن العلة يجب أن تمتلك من الحقيقة الواقعية أكثر من معلولها، ومثل يقين المرء بوجوده الخاص.

ثم يقول عن مصدر الخطأ في أحكامنا وطرقنا في البرهنة:

وينشأ الخطأ في نظر (ديكارت) من الإرادة. فالفكرة أيًا كانت لا تكون صادقة أو كاذبة حتى يتم إصدار حكم عليها ومن ثم إذا حصرنا أحكامنا فيما هو واضح ومتميز بصورة برهانية أو بصورة حسية، فإننا لا نقع مطلقًا في الخطأ. لكن إذا جرفتنا الانفعالات والأهواء

أو أفكار غامضة، فسمحنا لإرادتنا أن تنتصر علينا ونصل إلى أحكام لا يكون لدينا عنها دليل كاف، فإننا نقع في الخطأ.

ثم يتطرق إلى الشك في فكر (ديكارت)، فيقول:

وذلك ما فعله (ديكارت) بطريقة بارعة، إذ أنه شرع في الشك في كل شيء يمكن الشك فيه، لكي يكتشف ما هو على يقين منه بصورة مطلقة¹؛ لأنه لا يستطيع أن يشك فيه دون أن يفترض وجوده (وهذا هو مذهب الشكي الأول أو المنهجي، كما يطلق عليه أحياناً، أي أنه نوع خالص من الإجراء ؛ وهذا يعني أن (ديكارت) لم يكن في الواقع شاكاً. لقد وجد أن الحواس يمكن أن تخدع المرء باستمرار، ولذلك فمن الأفضل عدم الثقة بها. ولذلك وجد (ديكارت) أنه من الممكن نظرياً الشك في شهادة حواسه، وذاكرته، وأفكاره، ووجود العالم الخارجي، وحتى في صدق الرياضيات. ومع ذلك فقد وجد شيئاً لا يمكن الشك فيه، وهو واقعة وجوده الخاص: "أنا أفكر، إذاً أنا موجود" ويمكن تلخيص المذهب العقلي في ما يلي:

ومن أهم النتائج التي نستخلصها من هذه الدراسة تتمثل في ما يلي:

- المعرفة عند الفلاسفة العقلانيين مصدرها الأساسي العقل وليست الحواس والتجربة.
- تكون المعرفة عند سقراط كامنة في العقل، ولا تأتي من خارج العقل.
- يرى أفلاطون أن المعرفة عند الإنسان قبلية فطرية، ولا تأتي من العالم الخارجي.
- الأفكار الفطرية عند ديكارت هي معرفة قبلية توجد في عقل الإنسان قبل ولادته.
- تتميز الأفكار الفطرية عند ديكارت بالبدهة والوضوح والدقة ولا مجال للشك فيها لأنها عقلية محضة.
- ديكارت يرفض أي معرفة خارجة عن نطاق العقل، وأن المعرفة المكتسبة غير يقينية وقابلة للشك.

¹ م. روزنتال و ب. بودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة يوسف كرم، دار الطليعة بيروت، ط1، 1984، ص209.

- الأفكار الفطرية توصلنا للمعرفة الحقّة، كما أن المعرفة تتضمن في الأفكار الفطرية، أي كل منهما يخدم الآخر .

وقد أعطت هذه العناصر الفلسفية لقوة النظرية والعملية لفلسفة ديكارت، وأصبحت فلسفته أساس الفلسفة الحديثة في الفكر الغربي واستند الفكر المعاصر في تنظيراته الفلسفية على الفكر الديكارتي إما تقييماً أو نقداً وتقويماً.



البحث الثاني الاتجاه الواقعي

الواقعيون فيما يرى الفلاسفة هم الذين يعترفون بوجود عالم خارجي مستقل عن أي عقل يدركه وعن جميع أفكار أو أحوال ذلك العقل وليست الأمور المدركة في التجربة سوى رموز في العقل ولكنها رموز تدل على حقائق خارجية واقعة))، غير أن هذا التعريف في الواقع غير دقيق فضلاً عن أنه لا يبين لنا لماذا إذاً يتعارض الواقعيون مع المثاليين فيما يتعلق بطبيعة المعرفة؟

إذا كان الواقعيون هم ذلك الفريق من الفلاسفة الذي يقول أن العالم قائم موجود بالفعل حتى عندما يكون بعيداً عن متناول إدراكنا الحسي أعني أن الأشياء الخارجية وجوداً عينياً مستقلاً عن العقل الذي يقوم بإدراكها وعن جميع أفكار ذلك العقل وأحواله . فإن الواقعية في هذه الحالة لن تتعارض إلا مع لون خاص من ألوان المثالية هي المثالية الذاتية أو مذهب الذات الوحيدة أو الأنا وحدية كما عبر عنه الأسقف الإنجليزي جورج باركلي (1685-1852) في نظريته الشهيرة أن وجود الشيء يعني أنه مدرك، وبالتالي فليس للأشياء وجود مستقل من العقل الذي يدركها، لكن كيف يكون تعريف الواقعية السابقة متعارضة -على سبيل المثال- مع مثالية هيغل التي عبرت أروع تعبير عن استقلال العالم عن الذات العارفة حين أنكر الزعيم بأن الأشياء المحسوسة لا توجد إلا في عالم الوعي أو الشعور.. فهو القائل إن ريش الطيور المتعدد الألوان يرف حتى ولو لم يره أحد، وغناء الطير يتردد حتى ولو لم يسمعه أحد، وشجرة كاراثوس التي لا تزدهر إلا ليلة واحدة، والغابات الاستوائية التي تشبك فيها النباتات الجميلة الغنية، فتنبعث منها عطور فاغمة، كل هذا يفنى ويسقط دون أن يستمتع به أحد.

الواقعية من حيث هي طريقة خلاقة هي ظاهرة تاريخية ظهرت في مرحلة معينة من تطور العقل البشري في العهد الذي كان الناس فيه يتصارعون مع الضرورة الحتمية التي لا محيد عنها للتفكير في جوهر واتجاه حركة المجتمع وحيث اخذوا بالتفكير في ادراكهم بصورة

عفوية بادئ بدء ثم واعية بأن الأعمال والمشاعر الإنسانية لم تكن مطلقاً نتيجة الأهواء أو حصيلة لخطة الهية وإنما تحددها أسباب واقعية فعلية أو بتعبير أفضل أسباب مادية .. لقد ظهرت الطريقة الواقعية في الفن حين توجب على أعضاء المجتمع المدني ان يعرفوا القوى التي لا يمكن ان تتوصل إلى ملاحظتها أو إدراكها الملاحظة المباشرة التي كانت تحكم الية العلاقات الاجتماعية ونحن نجد علائم الواقع وسمات الحقيقة في روايات العصور القديمة وفي الفن القوطي والباروكي وفن الروكوكو وفي الأعمال الأدبية الكلاسيكية , لكن دراسة حياة المجتمع والطبائع البشرية بكل تعقيدات تفاعلاتها المتبادلة لا يحققها سوى الواقعية ان أعمال الواقعيين الأوائل مازالت تحتفظ بقيمتها وذلك لانها بلورت تجربه الإنسان الاجتماعية وهي تتيح لنا ان نرى حقيقة الكائن وحياة الشعب والحاجات المادية الحقيقة والروحية التي كانت تشغل في الماضي بمختلف الفئات والطبقات الاجتماعية

معروف ان الواقعية قد تطورت بادي بدء في ميدان الحياة اليومية ان تمثيل الواقع الذي يحيط في شكله اليومي بالانسان هو في اساس الخرافات ثم اثر ذلك الراوية البيكارية التي ولدت من اختمار التمردات الشعبية والانتفاضات الفلاحية والحروب الدينية التي صبغت بالدماء القرنين السادس والسابع عشر لكننا لم نكن حينئذ الا ازاء معالجات اولية للواقعية اذا صح التعبير .

ان جوهر الطريقة الواقعية وروحها يتشكلان من التحليل الاجتماعي ودراسة التجربة الاجتماعية للانسان وتصويرها ودراسة العلاقات الاجتماعية بين الناس وبين الفرد والمجتمع وكذلك بين بنيات المجتمع ذاته

ان بلوخ لا يرى في هذا الواقع المترابط سوء بقية من انظمة المثالية الكلاسيكية في ذهن ويعرض فهمه الخاص على هذا النحو قد يكون الواقع الاصيل انقطاعا ايضا وبما ان فهم لوكاتش للواقع فهم موضوعي فعلق فهو لذلك يتوجه بصدء التعبيرية ضد كل محاولة فنية لتهديم صورة العالم . وعموما يطلق المذهب الواقعي في المعرفة على مجموعة من المذاهب

تتشترك إلى جانب عدائها للمثالية - في خصائص اظهرها القول بان للاشياء الخارجية وجودا عينيا مستقلا عن العقل الذي يقوم بادراكها , وعن جميع افكار ذلك العقل وأحواله , ومعرفة العقل مطابقة لحقائق الاشياء المدركة فليس العالم الخارجي كما هو مدرك في عقولنا الا صورة لهذا العالم كما هو موجود في الواقع والعلاقة التي تقوم بين الاشياء الخارجية وافكارنا التي تمثلها في عقولنا علاقة مشابهة وتطابق , فالمعرفة عند الواقعيين ادراك عقلي او حسي مطابق للاعيان في الخارج او هي انعكاس العالم الخارجي على العقل . وواضح ان الواقعية نقيض المذهب الافلاطوني الذي يعتبر المثل وحدها هي الموجودات الحقيقية ويرى ان الاشياء او الموجودات المحسوسة ليست الا مجرد اشباح وظلال للمثل وبمقدار ما تبتعد نظرية المثل عن دنيا الواقع بمقدار ماتعبر عنها هذه الواقعية واطهر فروع هذا الاتجاه:

أ . الواقعية الساذجة

وهي تتفق مع مايراه عامة الناس في القول بان افكارنا صور مطابقة للاشياء في الخارج والعالم الخارجي يبدو لنا في صورة كثرة من الموجودات والكائنات تقوم بينها روابط وعلاقات, فالعالم متعدد متكثر - ولا يمكن رده إلى وحدة كما ظن المثاليون . وقد اعتبر هذا المذهب ساذجا لانه يمثل مرحلة سابقة على مرحلة التفكير العلمي والفلسفي ولا يخضع للتفكير النقدي ويثق في مدركات الحس ثقة لاحد لها مع ان تجربتنا في كل يوم تزعزع ثقتنا في صحة احكامها فالعصا المغروسة في الماء منحرفة تبدو مكسورة امام العين وهي ليست كذلك في واقع الامر, والمرئيات تبدو لاعيننا عن بعد اصغر حجما من حقيقتها وكثيرا ما يبدو الشئ في نظر انسان على صورة تخالف الصورة التي يبدو عليها في نظر غيره من الناس , بل كثيرا ما يتغير الشئ الواحد في نظر الانسان الواحد بفعل الخيال او بتأثير الاحلام .. وهذا وغيره كفيل بان يفقدنا الثقة في احكام الحس.

كان الواقعيون يقولون ان العالم الخارجي قائم موجود بالفعل حتى عندما يكون بعيدا عن متناول ادراكنا الحسي وهو موجود على نفس الحال التي يوجد عليها عندما يقع عليه

ادراكنا وهذا هو الذي كان يبرر عند مل mill وامثاله وجود العالم مستقلا عن ادراكنا له ولكن خصوم الواقعية رفضوا التسليم بذلك وقالوا ان التيقن من وجود خصائص وصفات في شئ ما لا يكون قط الا عندما تكون في متناول الادراك وفي مقدوره بل ان مجرد اختلاف الشئ في مظهره واشكاله باختلاف المسافة التي تفصل بينه وبين العين التي تراه , او باختلاف الزاوية التي يرى منها او باختلاف قوة الضوء او انعدامه .. كل هذا يبرر القول بان بين الاشياء في الواقع وافكارنا التي تمثلها اختلافا ملحوظا لاسبيل إلى اهماله وقد ايدت هذا التفاوت مقاييس العلم والالات التي يستخدمها من مجهر ومقرب وموازين ونحوها ولهذا عدل الباحثون هذه الواقعية الساذجة فظهرت الواقعيون يرون ان للاشياء الخارجية وجودا عينيا مستقلا عن الذات التي تدركها والمعرفة صورة مطابقة لحقائق الاشياء في العالم الخارجي , فالعالم الخارجي كما هو مدرك في عقولنا ليس الا صورة للعالم الموجود في الواقع , وهذه هي الصورة الساذجة من المذهب الواقعي التي تسلم بوجود العالم الخارجي بمافيه من كثرة وتعدد دون ان ترد هذه الكثرة إلى أي نوع من الوحدة وكذلك فهي تسلم تسليما اعمى بقدرة الحس وصحته

ب . الواقعية النقدية التقليدية

المذهب الواقعي النقدي وهو الذي اعتمدته العلوم الطبيعية بعد اخضاعه للنقد العلمي وخلاصته ان الحس يدرك حقائق الاشياء وهذه الحقائق تمحص في قوانين العلوم الطبيعية فالمادة في نظر هذه العلوم شئ حقيقي له وجود عيني خارجي ولكن الكيفيات التي تدركها الحواس ليست الا من عمل الذهن , وتتميز الواقعية النقدية من الساذجة برفضها التسليم بالوجود الحقيقي لعالم المدركات الحسية بغير اختبار نقدي انها تحاول ان تثبت الحقيقة بمناقشة الحجج المضادة ودحضها حتى يتسق منطق الواقعية مع النتائج التي ينتهي اليها نقد المعرفة "الوردة حمراء" في لغة الواقعية النقدية معناها ان في الوردة خاصية تثير في العين تحت ضوء ملائم احساسا باللون الاحمر , فالحمرة بغير العين التي تراها تكون بغير

ذات فحوى ولكن شروط الاحساس بالحمرة تظل قائمة وان لم يكن هناك ضوء ولا لون لان هذه الخاصية موجودة في الورد وجودا موضوعيا وليس ذاتيا فوجود الاشياء اذن لايتوقف على قوى ادراكها , لم تر عين الانسان أشعة رنتجن زمنا طويلا ولكن اثر هذه الاشعة الملحوظة قد ادى اخر الامر إلى معرفة وجودها ومثل هذا يقال في الكثير جدا من القوى التي توجد كامنة في الطبيعة . ان الواقعية الساذجة لاتثير الجدل في قدرة الانسان على معرفة حقيقة شئ موجود مستقلا عنا لانها ترى المشكلة غير ذات الموضوع . اما الواقعية النقدية فانها تعرض للمشكلة وتناقش الحجج التي تتكر اماكن هذه المعرفة وتنتهي من مناقشتها إلى اقرار هذه المعرفة اقرارا قاطعا . اضافت الواقعية النقدية إلى العقل فاعلية خاصة بحيث لم تصبح المعرفة صورة مطابقة للاشياء المدركة - كما كان الحال في الواقعية الساذجة ولكنها اصبحت صورة معدلة بفعل العقل الذي يستطيع ان يتجاوز الجزيئات المحسوسة إلى الكليات على نحو ما هو معروف عند امثال جون لوك فقد رفض رد الحقائق المسلمة والمبادئ المشهورة إلى فطرة العقل على نحو ما ذهب افلاطونيو كمبرج من ناحية وديكارت من ناحية اخرى وجعل للعقل عملا ايجابيا هو ان يؤلف من الصورة الحسية التي تنقلها اليه الحواس معاني جديدة . ولكن عصر لوك -القرن السابع عشر- كان بدء تاسيس المناهج العلمية الحديثة وقد استقام العلم الحديث واستكمل مناهجه التجريبية التي استرعت الانظار وكانت موضع تقدير واعجاب عند الكثيرين من الفلاسفة انفسهم واخذت الروح العلمية تتغلغل في كل شئ وبدأت هذه الظاهرة في تطور الواقعية النقدية التقليدية السالفة الذكر إلى ما سمي في العصر الحاضر بمذهب .

اما الواقعية النقدية فانها ترى ان الحس يدرك حقائق الاشياء الخارجية ولكن هذه الحقائق تخضع للفحص على ضوء قوانين العلوم الطبيعية فمع ان للمادة وجودا حقيقيا في الخارج الا ان الكيفيات التي تدركها الحواس انما تكون من عمل الذهن فادراكي للون الاصفر في البرتقالة مثلا يعني ان في البرتقالة خاصية تثير العين تحت ضوء ملائم فتجعل العين تحس باللون الاصفر , فلامعنى للصفرة اذن بدون وجود العين التي تراها هذا على

الرغم من ان وجود الصفرة كخاصية في البرتقالة على نحو ما ، هو وجود موضوعي لايتوقف على ادراكنا لها واذن فالمعرفة عند الواقعية النقدية ليست ادراك صورة مطابقة للاشياء الخارجية بل ادراك صورة معدلة بفعل العقل الذي يمكن له ايضا ان يتجاوز الجزيئات والمحسوسات إلى الكليات . واذن فالواقعية النقدية تبحث في امكان معرفة الانسان للموضوعات الخارجية وتحدد الشروط العلمية لهذه المعرفة ونجد صوراً اخرى للواقعية عند هويتد وصمويل الكسندر وبرتراند رسل ومور

لقد ارسى طراز جديد من الواقعية نقدي من حيث الخاصية تاليفي من حيث الطريقة التي يعرض بها علاقات الانسان بالبيئة وعلاقاته بالمجتمع لقد صور بوشكين انسان عصره على الصعيد التاريخي بمعنى انه كان يعتبره ثمره لوسط اجتماعي محدد يمتلك وعياً طبقياً واضحاً لم يكن يميز سواه والطريقة النموذجية التي استخدمها بوشكين لتصوير الواقع تميز كذلك كل الواقعية النقدية في عصره الكلاسيكي .. وقد اتاحت هذه الطريقة لبلازاك وستندال لديكنز وثاكري للاخوات برونتي وغوغل والواقعيين الروس المنتمين إلى المدرسة الطبيعية ان يبرزوا ويحللوا تناقضات العلاقات الرأسمالية الجديدة التي قامت على انقاض الاقطاعية والحقيقة ان الواقعية النقدية كانت وحدها هي القادرة على استيعاب ذلك الواقع الجديد لان الواقعية البرجوازية التي تعتبر التقدم الرأسمالي كقاعدة طبيعية للتطور الاجتماعي لم تبذل أي محاولة لتحليل الواقع في حركته الحقيقية ، بل بذلت قصارى جهدها لان تحل محل صورة تناقضات المجتمع صورة الحياة الروحية للانسان مفصلاً عن المجتمع

ج . الواقعية الجديدة

بدا هذا الاتجاه الجديد منذ عام 1910 م على يد ستة من فلاسفة الامريكان لم يخالفوا الفلسفة التقليدية في موضوع البحث ، فقد كان مدار فلسفتهم نظرية المعرفة وفهم العلاقة التي تقوم بين الذات العارفة وموضوع معرفتها من غير تمييز بين العارف والمعروف ، اهتمت الواقعية الجديدة بتحليل العلاقة التي تربط بين الذات العارفة وموضوعها ورفضت

التسليم بما راته الواقعية النقدية التقليدية من وجود وسيط بين الشيء المدرك والذات العارفة - هو الصورة الذهنية في مذهب لوك - لان الادراك في نظر الواقعية الجديدة يقع مباشرة وبغير وسيط , مما يجعل معرفتنا للشيء الخارجي صورة مطابقة لحقيقته في الخارج .. إلى اخر ما انتهى اليه مذهبهم الذي يشرحه كتاب اشتركوا في وضعه عن "الواقعية الجديدة- دراسات تعاونية في الفلسفة "

وهناك تيار جديد في الواقعية هو ما يسمى باسم "الواقعية الجديدة" وقد ظهر في وقت مقارب لظهور المذهب البرجماتي، لكن المذهب الأخير كان نباتاً أمريكياً أما الواقعية الجديدة فهي نبتة إنجليزية أصيلة كانت في نموها متمشية تماماً مع تراث الفلسفة الإنجليزية الأصلية أو القومية ورغم أنها قد تغلغت عبر المحيط فإن إنجلترا هي تربتها الأصلية. ولقد ظهرت هذه الحركة بوضوح في نفس الوقت الذي توقفت فيه الحركة المثالية الإنجليزية بعد أن استنفدت معظم إمكانياتها، وتزداد أهمية هذه الحقيقة إذا أدركنا أن الواقعية الجديدة كانت تهاجم صراحة في تصريحاتها الأولى - وكذلك في كثير من تصريحاتها التالية أيضاً- روح المثالية ومنهجها، وحاولت أن تستبدل بها شيئاً جديداً كل الجدة.

ولقد كان مقال جورج إدوارد مور بعنوان "تفنيد المثالية" في مجلة mind عام 1903 إلى جانب كتابات رسل Russell التي ظهرت في حوالي ذلك الوقت - هو الذي أطلق صيحة الحرب من جانب الواقعية الجديدة على المواقع المثالية .

والحق أن الواقعية الجديدة تعبير يطلق أساساً على نظرية المعرفة الجديدة. وكانت المشكلة التي عولجت من جديد هي مشكلة الإدراك الحسي التي تركز حولها اهتمام المفكرين الإنجليز بوجه خاص، ومن خصائص هذه أن اهتمامها بالمسائل النظرية كان أغلب، وأن لنقد المعرفة فيها مكانة تعلق على كل المباحث الفلسفية الأخرى. ومن السمات الأخرى للفلسفة الجديدة اهتمامها الشديد بالعلم وهناك علما استفادت منهما في مسائل أساسية هما (الرياضة، والفيزياء الحديثة) - كما استفادت بدرجة أقل من علم الحياة وعلم النفس- وقد

كان من نتيجة اهتمامها بالعلم أن أصبحت تهدف إلى معرفة الأجزاء أكثر من الكل، وتحرص على القيام بأعمال تفصيلية دقيقة أكثر مما تهتم بالآراء الشاملة وهي لا تحاول أن تستنبط طبيعة العالم في مجموعة من طبيعة المعرفة وإنما هي تنظر إلى المعرفة بوصفها واقعة طبيعية ضمن غيرها من الوقائع، ولا تعزو إليها دلالة صوفية أو روحية ، ومن الممكن وصفها بأنها تتجه إلى بناء المذاهب وهي تؤثر التحليل والوصف على البناء التركيبي والنظر الخالص.

والواقعية الجديدة بصفة عامة نقدية لا تأملية وموقفها من الميتافيزيقيا متشكك بل عدائي أحياناً. كما أنها ترفض الاقتراب من الدين وهي لا تبدي اهتماماً بشيء يجاوز التجربة. وهي تتميز بالتزامنا الدقيق للوقائع بوضوح التفكير ونزاهته.

ولكن الواقعية الجديدة لم ترض طائفة أخرى من الواقعيين المعاصرين فاتهموها بالسذاجة لأنها في دراسة المعرفة تقتصر إلى روح النقد والتمحيص والتحليل ومن هنا نشأ:

البحث الثالث : الاتجاه التجريبي.

يعتبر المذهب التجريبي من أفضل مذاهب البحث العلمي لأن هذا المذهب يعتمد بالأساس على التجربة العلمية القائمة على قواعد المنهج العلمي، مما يتيح فرصة عملية لاختبار الاستنتاجات للتأكد من تطابقها مع الحقائق الموضوعية الأمر الذي يقدم أسس لوضع القوانين عن طريق هذه التجارب. والتعلم بالتجربة قديم قدم الإنسان الأمر الذي اعطاه الفرصة للوصول إلى مراحل متقدمة، ولكن تحول التجربة والملاحظة إلى منهج علمي جرى في نهاية العصور الوسطى.

اذن يمكننا القول ان أكثر مناهج البحث أهمية بالنسبة للإنسان هو المذهب التجريبي لان هذا المذهب ساعده على التطور وبناء حضارته عن طريق الملاحظة والتجريب والوصول إلى النتائج الصحيحة ومعرفة الطرق السلمية للتعامل مع الظواهر وتفسيرها والافكار المكتسبة حصل عليها الانسان بفضل حياته الاجتماعية¹.

ومما لا شك فيه ان هذا المذهب في البحث العلمي مر بمراحل عديدة من التطور شأنه شأن الحضارة الإنسانية فبينما كان الإنسان الأول يقوم باستخدام هذا الذهن دون أن يشعر أصبح هذا المذهب الآن مكتمل الصور ويتم استخدامه بطريقة تعتمد في الأساس على القواعد العلمية. وتتضح قيمة المذهب التجريبي في العلوم البحتة والتطبيقية

تاريخ المذهب التجريبي

منذ ظهور الإنسان تميز بسعيه لمعرفة الطبيعة التي وجد نفسه فيها، وأصبح من السمات الإنسانية التجريب واختبار المواد لمعرفة الصالح والمناسب له ولو اخذنا مثلاً على ذلك ان الإنسان المبكر استخدم حجر الصوان لخدح الشرر وتوليد النار منه ولابد ان الوصول لهذه النتيجة سبقتها خبرات متراكمة من ملاحظات على أنواع من الاحجار أدت إلى استنتاج وجود الخاصية في حجر الصوان دون باقى أنواع الحجر. لقد استخدم الملاحظة

¹ عبد المجيد عبد الرحيم، مدخل إلى الفلسفة بنظرة اجتماعية، مكتبة النهضة المصرية، دط، 1976، ص211.

والخبرة المتراكمة للاستنتاج من مرحلة مبكرة في تاريخ الإنسانية. ويسمى أيضا مذهب الملاحظة الخارجية والتجربة.

مراحل المذهب التجريبي

-اليونانيين والمنهج التجريبي:

لاشك أن ظهور المنهج التجريبي وتثبيت اركانه كان عسيرا، إذ استمر يحاول الظهور منذ عهد سقراط بل ومن قبله، إذ ان فلسفة اليونان كثيرا ما كانت تشمل أجزاء نعدّها اليوم منتمية إلى مجال العلم التجريبي كالنظريات الخاصة بأصل الكون أو بطبيعة المادة ومن هذا القبيل كان مذاهب التجريبيين اليونانيين التي نجدها في الفترة السابقة لسقراط وكذلك في الفترة المتأخرة للفلسفة اليونانية.

ولقد كان أبرز هؤلاء الفلاسفة هو ديمقريطس (Democritus) وهو معاصر لـ سقراط، يعد أول من طرأت على ذهنه الفكرة القائلة، ان الطبيعة تتألف من ذرات، ومن هنا أصبح يحتل مكانة في تاريخ العلم فضلاً عن تاريخ الفلسفة ويمكن أن يعد ديمقراطيس من بين الفلاسفة اليونانيين الذين كانوا يعتقدون أن المعرفة لا بد ان تكون يقينية¹ أو مجربه على نحو مطلق.

وقد أدرك كارنيدس (Carneddes) في القرن التاسع قبل الميلاد أن الاستنباط لا يمكنه تقديم مثل هذه المعرفة، لأنه لا يقتصر على استخلاص نتائج من مقدمات معطاة ولا يستطيع اثبات صحة المقدمات كما أدرك أنه لا ضرورة للمعرفة المطلقة، من أجل توجيه الإنسان في حياته اليومية. والواقع أن كارنيدس بدفاعه عن الرأي الشائع وعن الاحتمال قد أرسى دعائم الموقف التجريبي في بيئة عقلية وكان اليقين الرياضي يعد فيها الصورة الوحيدة المقبولة للمعرفة. وقد استمر الاتجاه إلى التجربة عن طريق الشك في المعلومات العقلية المجردة في القرون التالية. وكلما قامت حضارة ارتفعت أسهم الحركة التجريبية ولكن ظل

¹ عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، إيران، ط1، دت، ص 220

الاتجاه العام في الفكر هو الاتجاه العقلي. أما التجربة فقد كانت من خصائص أصحاب الحرف والصناعات¹ وفي بعض الأوقات الأطباء وقد كان سكستس ايرامبيريكوس (Sextus Erampiricus) في حوالي العام 150 م رائداً لمدرسة الأطباء التجريبيين الذي ظهر منها أبو الطب ابقرط الذي اثر في مسيرة المنهج التجريبي ولقد تأثر به سقراط كثيرا ولاننسى تجربته الرائدة عندما قام بكسر بيض الدجاج في مراحل مختلفة لمعرفة مراحل تطور الجنين.

كما في مذاهب فرانسيس بيكون (1561- 1626) م وهو فيلسوف إنجليزي أول من حاول إقامة منهج علمي جديد يركز إلى الفهم المادي للطبيعة وظواهرها، وهو مؤسس المادية الجديدة والعلم التجريبي وواضع أسس الاستقراء العلمي، فالغرض من التعلم عنده هو زيادة سيطرة الإنسان على الطبيعة وهذا لا يمكن تحقيقه إلا عن طريق التعليم الذي يكشف العلل الخفية للأشياء. دعا أيضا إلى النزعة الشكية فيما يتعلق بكل علم سابق بحيث يجب أن تكون هذه النزعة الخطوة الأولى نحو الإصلاح وتطهير العقل من المفاهيم المسبقة والأوهام التي تهدد العقل بشكل مستمر جون لوك (1632- 1704)م وآخرين من الذين أسهموا في بناء المنهج التجريبي الحديث. إذ أن "جون لوك" هو أحد كبار ممثلي النزعة التجريبية الإنجليزية، جاء بعد هوبز وبيكون وكان أعمق منهما المعرفة عند جون لوك.

يقوم المذهب التجريبي في المعرفة على أساس التجربة²، باعتبارها المصدر النهائي لكل معرفة، وأن الحواس وحدها هي أبواب المعرفة³، فليس في العقل شيء لم يمر بالحواس أولا، وينكر التجريبيون أن يولد العقل مزود بأفكار فطرية وقد اهتم التجريبيون بالعلوم الطبيعية التي تعتمد على التجربة، وأنكروا قدرة في ذلك. على أن التجربة لا توفر لنا المعرفة الحقة وأن العقل حاصل منذ الأصل على المعاني العليا الضرورية للعلم والأخلاق.

¹ مصطفى النشار نفس المرجع السابق ص165

² John Locke : Quelques pensées sur l'éducation ,tr !Compayé,Parie
librairiephilosophiqueJ.Vrin,2007 p 102

³ عزمي اسلام، نظرية المعرفة عند جون لوك، دار المعارف، ط1، دت، ص98

فقد أعلن الفيلسوف الإنجليزي جون لوك بكل وثوق، أن المعرفة تأتينا عن طريق التجربة والحواس،

وأن كل شيء وكل فكرة أو تصور في العقل هو من التجربة أو الحواس، وأن العقل يكون خاليا من كل شيء عند ولادة الإنسان فيقول: "العقل صفحة بيضاء خالية من كل فكرة".

وبهذا الحواس تنقل لنا الأفكار والآراء إلى العقل من العالم المادي، والذي يعتبر هو المصدر الأساسي للمعرفة ؛ وعليه يمكن أن نقول أن المصدر الأول للأفكار والمعارف هو موضوعات الحس، والذي يعتمد اعتمادا كلياً على حواسنا، فتكون المعرفة بالحواس مباشرة فتترك انطباع في الذهن، مثلاً عند لمس الماء الساخن أو رؤية اللوحة التي رسمها الفنان فإنه يتولد لنا انطباع في الذهن مباشرة، وهذا ما نسميه الإحساس . ومن هنا نتوصل إلى مايلي:

ذلك كان جانباً واحداً فقط من جوانب المنهج التجريبي. وهو الجانب النظري منه فقط، وهناك جانب آخر للمنهج التجريبي هو الجانب العملي منه¹ وهو ذلك الجانب الذي يعتمد على صنع ظاهرة من ظواهر الحياة ثم ملاحظتها ودراسة أسبابها وميزاتها وطرق التحكم فيها. ويفترق هذا الجانب عن ذاك في أمرين:

أ_ إن صنع الظاهرة يخضع لشروط الباحث نفسه ويستطيع بذلك إبعاد كافة الملاحظات التي قد تشوش الرؤية وتعوق دون فهم حقيقة الظاهرة والعوامل الأساسية المؤثرة في ظهورها بينما ملاحظة ظاهرة طبيعية لا تخضع لشروط الباحث² وتتداخل فيها عوامل عديدة يصعب تمييز العامل الحاسم من بينها.

¹ راوية عبد المنعم عباس، جون لوك امام الفلسفة التجريبية، دار النهضة العربية بيروت، 1996، ص 65.

² جميل صليبا المعجم الفلسفي الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان، ص 210

بـ إن التجربة النظرية هي حصيلة العلوم النظرية التي لا تحتاج إلى جهد إضافي بينما التجربة العملية هي نوع من القيام بعمل تغيير في الحياة ويحتاج إلى جهد وإلى إيجاد شروط صعبة في الحياة ولذلك استطاع علماء اليونان اكتشاف أهمية المنهج التجريبي نظرياً بينما لم يقدروا على إجراء أبسط التجارب العملية التي لو أنهم جربوها لكانوا اكتشفوا حقائق كثيرة، فمثلاً : الفكرة القائلة أن الشمس والأرض والكواكب تتحرك حولنا لم تكن مجهولة لليونانيين، فقد اقترح أرسطوفوس الساموسي (Aristarchus of Samos) بصواب فكرة النظام المتمركز حول الشمس في حوالي عام 200 ق.م ولكنه لم يتمكن من اقناع معاصريه بصواب رأيه ولم يكن في استطاعة الفلكيين اليونانيين أن يأخذوا برأي أرسطوفوس لأن علم الميكانيكا كان في ذلك الحين في حالة تأخر مثال ذلك ان بطليموس اعترض على أرسطوفوس بالقول: أن الأرض ينبغي ان تكون ساكنة لأنها لو لم تكن كذلك لما سقط الحجر الذي يقع على الأرض في خط رأسي وظلت الطيور في الهواء مختلفة عن الأرض المتحركة وهبطت إلى جزء مختلف من سطح الأرض ولم تجر تجربة إثبات خطأ حجة بطليموس إلا في القرن السابع عشر، عندما أجرى الأب جاسندي (Gassendi) وهو عالم وفيلسوف فرنسي كان معاصراً لـ ديكارت وخصماً له، أجرى تجربة على سفينة متحركة فأسقط حجراً من قمة الصاري ورأى انه وصل إلى أسفل الصاري تماماً.

رواد المذهب التجريبي

جون لوك: (1632/1704)

يعتبر لوك هو رائد المذهب التجريبي في العصر الحديث لأنه كان أول من قدم بحثاً عن المعرفة في صورة العلم المستقل في كتابه المسمى «مقال في الفهم البشري» .

ويؤمن لوك بالحواس كمصدر للمعرفة الإنسانية ويؤكد بأن من فقد حاسة من حواسه فكانه فقد المعارف جميعاً.

ويهاجم لوك شأنه شأن بقية الفلاسفة التجريبيين - نظرية الأفكار القطرية التي قال بها العقليون وعلى رأسهم زعيمهم ديكارت، منكرًا وجود أية أفكار فطرية في عقل الإنسان، فالإنسان يولد وعقله صفحة بيضاء خالية من أي أفكار أو انطباعات وتنقش عليها التجربة الخارجية ما تشاء من المعارف والأفكار، وعلى ذلك فأية فكرة تتولد في الذهن إنما ترتد إلى مصدر واحد فقط هو التجربة¹.

ولكن لماذا رفض لوك التسليم بالأفكار الفطرية التي قال بها العقليون لأنه يرى أن هذه الأفكار لو كانت موجودة فعلاً لتساوي جميع الناس في تفكيرهم وهو أمر لم يحدث أبداً، كما أن هذه الأفكار الفطرية ليست موجودة لدى الأطفال والبدائيين، وإذن فهي أفكار مكتسبة حصل عليها الإنسان بفضل حياته الاجتماعية².

فالمعرفة إذن ليست فطرية أي سابقة على التجربة، بل هل معرفة مكتسبة وأن جميع الأفكار التي تكون في الذهن إنما ترجع إلى الخبرة أو التجربة فحسب، ذلك أن الإنسان حين يولد يكون عقله كالصفحة البيضاء الخالية تماماً من أي أفكار وعندما تبدأ عملية الإحساس تنقش عليه الانطباعات الحسية ويأخذ في تكوين أفكار عنها.

وبهذا فالإحساس سابق على التفكير ولا يتضمن العقل أي فكرة لم يكن الحس مصدرها³.

وإذا أمكن للعقل أن يحصل على عدد كبير من الأفكار البسيطة فإن في استطاعته بعد ذلك أن يقوم بعمليات أخرى كالمقارنة مثلاً ويخرج من ذلك بأفكار أخرى جديدة يسميها جون لوك بالأفكار المركبة التي تتكون منها المعرفة الإنسانية⁴.

أي أن جون لوك يصنف الأفكار إلى نوعين هما:

¹ Locke, J., An Essay concerning human understanding, BK. II, Ch. I, Sec. 23, p. 69.

² عبد المجيد عبد الرحيم، مدخل إلى الفلسفة بنظرة إجتماعية، مكتبة النهضة المصرية، 1979، ص 211

³ Locke, J., An Essay Concerning human understanding, BK. I, Ch. I, p. 59-69.

⁴ Ibid., Ch. I, Sec. 23, p. 69.

1- الأفكار البسيطة Simple: وهي أفكار حسية جزئية توصلنا إليها بالحواس وتنقسم إلى

ثلاثة أنواع هي:

أ- أفكار محسوسة بالحواس الظاهرة المعروفة.

ب- أفكار مستمدة من الحس الباطن ترجع إلى الذاكرة والانتباه والإرادة .

ج- أفكار ترجع إلى الحس الظاهر والباطن مع مثل أفكار الوجود والعدد والوحدة واللذة والألم وغيرها¹.

2- الأفكار المركبة Compound : وتنقسم إلى ثلاثة أنواع هي:

أ. أفكار مركبة عن الأعراض وهي بمثابة أفكار أشياء لا تقوم بذاتها مثل المثلث والمربع، وهذه الأفكار تنقسم إلى قسمين:

- أعراض بسيطة Simple Modes مثل فكرة العدد المركب من تكرار الوحدة والمكان والزمان المركبين من أجزاء متجانسة².

- أعراض مركبة Compound Modes وهي أفكار مؤلفة من معان بسيطة مختلفة مثل معنى الجمال المركب من لون وشكل، ومعنى الواجب والصدقة.

ب. أفكار مركبة عن الجوهر: وتمثل أفكار الأشياء التي تقوم بذاتها مثل الإنسان والعلم والكتاب والبيت والشارع مما يحتاج إلى الأعراض لكي يوصف بها. وتنقسم إلى نوعين: جواهر مفردة Simple Substances مثل فكرتنا عن شخص ما كزيد أو

¹ Ibid., BK. II, Ch. 3., pp. 74-5.

² Ibid., BK. II, Ch. XII, p. 109.

راجع: محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، الفلسفة الحديثة، ص 125-128.

عمرو. وجواهر جمعية Collective Substances مثل فكرتنا عن الجيش أو الإنسان بصفة عامة¹.

ج. أفكار مركبة عن العلاقات: وهي أفكار ناتجة من التأليف بين أفكار متميزة مثل معنى البنية الذي يجمع بين فكري الابن والأب، وفكرة اللامتاهي، وفكرة العلمية والزمان والمكان والذاتية والتباين أو الغيرية².

- الكيفيات الأولية والكيفيات الثانوية

يميز جون لوك في إطار حديثه عن الأفكار البسيطة بين نوعين من الكيفيات (الصفات) وهما³:

- **الكيفيات الأولية Primary Qualities** وهي صفات موضوعية ملازمة للأشياء قائمة بها رغم أنها لا تمثل الأشياء حق التمثيل، أي صفات لا يمكن تصور الشيء بدونها بمعنى أنها ذاتية في الشيء ملازمة له. وأمثلتها الإمتداد والشكل والصلابة والحركة.

- **الكيفيات الثانوية Secondary Qualities** وهي صفات ثانوية أي ليست أساسية أو ضرورية في الشيء ولا داخله أو ملازمة له، لكنها مجرد قوى تؤثر فينا فتنتج إحساسات مختلفة عن طريق صفاتها الأولية مثل الألوان والأصوات والطعوم والروائح وقد سماها لوك بالثانوية لأن وجودها ليس ضرورية في الشيء، فقد توجد وقد لا توجد كما يمكن للشيء أن يوجد بدونها.

وأخيرا نلاحظ أن التمييز بين الكيفيات الأولية والكيفيات الثانوية ليس من إبتكار لوك لكن سبقه إليه جاليليو وهويز وجسندى وديكارت، ومن المرجح أن لوك قد إستعار مصطلح

¹ Locke, Op. Cit., BK. II, Ch. XII, p. 109.

² Ibid.

³ Ibid., BK. II, Ch. VIII, p. 86.

الكيفيات الثانوية من «بويل»، وقد كان ذلك عرفة شائعة في المحيط العلمي باكسفورد الذي ينتمي إليه كل المفكرين على حد سواء¹.

لكن ما يلاحظ على تمييز لوك بين الصفات الأولية والصفات الثانوية أنه قد يتمشى مع اتجاهه أو نزعه الجنسية في المعرفة ولكنه قد يخالف مثاليته الحسية لأن لوك بعد أن قرر أن صفات المادة تأثيرات ذاتية، رأى أن الصفات الأساسية أو الأولية قائمة في الخارج مستقلة عن ذواتنا².

- ديفيد هيوم (1711/1776):

يعتبر الفيلسوف الأسكتلندي هيوم فيلسوفة تجريبية بمعنى الكلمة، فقد تأثر بكل من جون لوك وجورج بركلي، وتكون لديه اتجاه حسي خالص فانطلق في دراسته للمعرفة في نفس الاتجاه التجريبي الذي إختطه جون لوك، فالمعرفة في رأيه مجموع إدراكات أي أنها ترجع أساساً إلى الإحساس والفكر اللذين يردان إلى مصدر وحيد هو الآثار الحسية أو الانطباعات Impressions ، فالإدراكات Perceptions ، إذن إما آثار حسية، وإما أفكار أو معاني Ideas وإما علاقات Relations ، وكل من القسمين الأولين إما بسيط Simple أو مركب Compound، والبسيط والمركب ينقسم كل منهما إلى إحساس وتفكير³.
بمعنى آخر يرى هيوم أن المعرفة كلها مكتسبة وتنقسم إلى قسمين⁴ :

¹ محمد فتحي الشنيطي، جون لوك، دراسة نقدية لفلسفته التجريبية، دار الطلبة العرب بيروت، ط 1، 1999، ص ص 92-93

² يحيى هويدى، مرجع سابق، ص 135

وأنظر: عزمى إسلام، جون لوك، دار المعارف بمصر 1964م.

³ محمد على أبو ريان، مرجع سابق، ص 144. وأنظر: Smith, S. K., The Philosophy of David Hume London, 1949

⁴ Hume, d., Enquiries Concerning human Understanding, 2nd., edit., Oxford 1893.

وأنظر : محمد على أبو ريان، مرجع سابق، ص 145

1- إنطباعات حسية وهي بمثابة إدراكات قوية وهي الإحساسات والإنفعالات والعواطف، وتأتي من المحسوسات المادية إلى أعضاء الحس مباشرة.

٢- الأفكار وهي إدراكات حسية ضعيفة أي نسخ باهتة واهنة منها ولا تكون للفكرة أي قيمة إلا إذا كانت صورة لأثر حسي.

وتتم العمليات العقلية عن طريق قانون التداعي Association بين الأفكار وهو أن ورود فكرة إلى النفس تستثير أو تستدعي فيها فكرة أخرى بطريقة آلية وذلك بسبب علاقات التشابه والتجاور في المكان والزمان والتضاد والتلازم في الوقوع مثل العلة والمعلول.

ويعترف هيوم بالعلاقات التي بين المعاني وأهمها قانون العلنية وهو أساس العلوم الطبيعية والتجريبية وقد رفض هيوم أن يكون قبلية أو فطرية وإنما العلنية في نظره مجرد عادة نشأت في النفس نتيجة ملاحظة تعاقب حادثين تعاقبة زمنية فربطت بينهما واعتبرت الأولى سابقة لوجود الثاني، واعتبرت الحدث الثاني نتيجة لازمة لظهور الحدث الأول¹.

والعلنية ليست أمرا فكريا وليست العلاقة بين طرفيها ضرورية وإنما يجب الرجوع فيها إلى التجربة، مثلا لا توجد علاقة ضرورية بين النار والإحراق والخبز والغذاء بحيث أن تصور إحدى الفكرتين يستتبع بالضرورة تصور الفكرة الأخرى، بل أكثر من ذلك ليس هناك أي تناقض في قبول أن النار لا و تحرق وأن الخبز لا يغذى².

¹ عبد المجيد عبد الرحيم، مرجع سابق، ص 219

راجع: محمد فتحي الشنيطي، فلسفة هيوم، مكتبة القاهرة الحديثة 1956.

² محمد ثابت الفندي، مرجع سابق، ص 190

- يوجد تحليل العلاقة العلنية عند هيوم في المقال التالي: A Treatise of Human Nature، المقال الأول، الجزء الرابع القسم الخامس.

هذا وقد تأثر أنصار الوضعية المنطقية بآراء هيوم فهم ينكرون كل معرفة سابقة على التجربة ويردون العلم الصادق إلى الرياضة والتجربة، وعلى هذا الأساس يعتبر هيوم الجد لهذه التجربة المنطقية أو العلمية¹.

- كوندياك (1718 / 1780) :

من أنصار المذهب الحسي في فرنسا، ويرى أن الحس هو مصدر المعرفة ويرفض العقل والأفكار الفطرية ولا يقول بالتأمل الذاتي الذي قال به لوك.

ويؤكد على أن الفارق بين معرفة الحيوان ومعرفة الإنسان لا يكون إلا في الدرجة لا في النوع، لأن مصدر المعرفة وأحد عند كليهما وهو الحس².

وفضلاً عن ذلك ليست النفس مادية عند كوندياك كما أنه لا ينكر القيم الأخلاقية والدينية لكنه يطرح ما بعد الطبيعة ويعتبر المعطيات المباشرة للحواس هي كل الحقيقة الواقعية، ومعنى هذا أنه ينكر أن يكون الحياة الروح استقلال ذاتي أو ذاتية³.

نقد المذهب التجريبي

بالرغم من نجاح المنهج التجريبي وفاعليته فإن هنالك سلبيات يتوجب الانتباه إليها وتجاوزها والحد منها قدر الامكان وهي-

- صعوبة تحقيق الضبط التجريبي في المواضيع والمواقف الانسانية والاجتماعية وذلك بسبب الطبيعة المميزة للإنسان وقدرته على تغيير انماط سلوكه بشكل يؤثر على التجربة ونتائجها.

- من الصعب التحكم بجميع المتغيرات⁴ والعوامل التي تؤثر في الظاهرة.

¹ Metz, a hundred years of British philosophy, 1938, p. 41-45.

² أنظر: عبد الرحمن بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة/ ص 166.

³ ك. بنروبي، مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا، الجزء الأول، ترجمة عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 8.

⁴ محمد طاهر آل بسير الخاقاني، نقد المذهب التجريبي، دار مكتبة الهلال، ط 2008، ص 70

- من الصعب التحكم بجميع ظروف الموقف التجريبي والمتغيرات عدا متغير واحد (المستقل) خاصة وان هناك عوامل سببية عديدة في المجالات الانسانية والاجتماعية.
- ان التجريب هو عبارة عن اثبات فروض والتأكد من صحتها ,فالتجربة لا تزود الباحث بمعلومات جديدة وانما يثبت بواسطتها معلومات معينة.
- فقدان عنصر التشابه التام في العديد من المجاميع الانسانية المراد تطبيق التجربة عليها , مقارنة بالتشابه الموجود في المجالات الطبيعية.
- هناك الكثير من القوانين والتقاليد والقيم التي تقف عقبة بوجه اخضاع الكائنات الانسانية للتجربة.
- تعتمد دقة النتائج على نوع الادوات التي يستخدمها الباحث كالأختبارات والمقاييس ومدى صدق هذه الاختبارات وملائمتها لقياس الظاهرة , لذلك ينبغي على الباحث ان لا يقع في اخطاء القياس عن طريق التدقيق في اختيار الادوات المناسبة للقياس والتي تتميز بالدقة والصدق والثبات.

البحث الرابع : الاتجاه المثالي.

الفلسفة المثالية (Idealism) ¹ مذهب فلسفي يشمل جانباً كبيراً من المذاهب الميتافيزيقية (ما بعد الطبيعة أو الغيبية) وهي اتجاه فلسفي يبحث عن مسألة الوجود (أو الانطولوجيا) في حين أن العقلانية اتجاه مذهبي يبحث في أصل المعرفة ويرد هذا الأصل إلى العقل فقط وينكر دور الحواس أو المعرفة القلبية أو المعرفة عن طريق الوحي وعكس العقلانية التجريبية وهذه الأخيرة تعتمد على التجربة الحسية فقط من دون العقل المجرد.

ورائدها أفلاطون الذي يرى - مثل أستاذه سقراط (470 ق.م - 399 ق.م) - أن القيم والفضائل ثابتة لا تتغير وأن التربية يجب أن تعتني بالتأمل والخيال بينما ترى المدرسة الواقعية ورائدها أرسطو (384 ق.م - 322 ق.م) - أن العناية بالحواس أهم من التركيز على الخيال وتتفق مع المثالية في كون الفضائل ثابتة². لا شك أن النزعة المثالية متأصلة في جذور الفكر الهندي والصيني مما يعني أن المثالية لا تعني ميلاد مدرسة فكرية غير معروفة على الإطلاق قبل اليونان .

ترى المثالية طبيعة الإنسان على أنه يتكون من ثنائية الروح والجسد ولا بد من مراعاة هذه الثنائية لتنشئة الفرد بالشكل القويم. يجب أن تسمو التربية بالروح دون إهمال للجسم ولأن عالم المثل هو غاية السمو الروحي فإن الفضائل حقائق مقبولة عالمياً والقيم الكبرى ثابتة لا تتبدل. يمثل الروح العالم اليقيني الأزلي أما عالم الجسد و المحسوسات فإنه عالم مؤقت خادع لذلك فإن الرقي الفكري خير من كسب المعاش. التأمل في عالم الروح مرحلة من مراحل الكمال.

قدمت الفلسفة المثالية للتعليم فكرة التوليد السقراطي الذي يقوم على إثارة العقل ودفعه للبحث الذاتي. "كان سقراط يقول بأنه يحترف صناعة أمه، فهي قابلة تولد النساء وتشهد مخاض الأولاد، وهو يُولد النفوس ويشهد مخاض الأفكار. "

¹ عثمان أمين رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار المعارف مصر، دطر، 1997، ص44

² أنطوني جوتليب، حلم العقل، ترجمة، محمد طلبة نصار، مؤسسة هنداوي، للنشر مصر، ط2015، ص223

يهتم التعليم عند المثاليين بقضايا فلسفية تجريدية روحية كما أصبحت الطرق القديمة الرتيبة القائمة على إعلاء شأن التفكير التجريدي وحفظ المعلومات- تحتل أوسع مساحة في المدارس. وسعى أفلاطون من وراء نظريته في الأفكار "نظرية المثل" إلى إيجاد المسكن الحقيقي للروح، فالحقيقة عنده هي الأفكار وهي مصدر تشابه الأشياء، إنها المثل الأبدية الثابتة القائمة في أساس الظواهر الطبيعية. واعتقد أن الأشياء ماهي إلا نسخ ناقصة لمثل كاملة لا يمكن معرفتها إلا عن طريق العقل¹ فالعقل أزلي وكوني لأنه يعمل في أشياء أزلية وكونية وهو الذي يوصلنا إلى المعرفة الحقيقية. لقد كان أول فيلسوف تناول المسائل الرئيسية في الفلسفة من كون ومعرفة وأفكار ووضعها في نظام متماسك، ويعتبره البعض ملك الفلاسفة، وكان يأمل أن تلعب فلسفته دوراً قوياً في السياسة. وركز على العقل وحده دون الحواس، ويعتبر أن التخصص وتقسيم العمل أساس الحياة الاجتماعية، وخرج بنظريته في كتاب "الجمهورية" والتي تركز على التخصص في التربية وعلى بناء مدينة فاضلة.

كما آمن أفلاطون بقدرة التربية على علاج الفساد والتغيير للأفضل وتبدأ منذ الطفولة، لكن يلاحظ أن آراؤه واتجاهاته طوبائية بعيدة عن الواقعية الاجتماعية وغير متناسقة في إطار فكري ينظمها ويحويها، وقد ارتبط المذهب المثالي التقليدي باسمه وسميت مثاليته بالمثالية الإلهية، وبعد عصر النهضة والإصلاح الديني الذي حدث في الغرب ومنذ القرن السادس عشر، أصبحت المثالية من أكثر الفلسفات ذيوياً وانتشاراً، ويرجع الفضل في ذلك إلى مساهمة عدد من الفلاسفة فيها مثل رينيه ديكارت الفرنسي (1569-1650م) الذي يعد فيلسوفاً من الفلاسفة المثاليين على الرغم من أن جزءاً كبيراً من فلسفته تقع في نطاق الفلسفة الواقعية، فمنذ ريعان شبابه كان يحاول التوصل إلى معارف بشأن الإنسان والكون، ولكن تعمقه في دراسة الفلسفة أوصله إلى قناعة بجهله الكامل عن الوصول إلى معارف أكيدة. نشر معظم كتابته في كتاب "مبادئ الفلسفة" عام (1637م)، وارتبط اسمه بمذهب

¹ مصطفى النشار ، افلاطون رائد المثالية، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر، 2018، ص111

الشك المنهجي الذي من خلاله يتوصل الباحث والدارس إلى اليقين، فأعطى قيمة للشك باعتباره نوعاً من التفكير، وأن التفكير ما هو إلا وجود، ووصل إلى المبدأ الآتي وهو "أنا أفكر إذاً أنا موجود" أي أنه إذا انعدم التفكير انعدم الوجود. واعتقد أن الحقيقة قائمة في العقل ولا وجود لها خارجه، فمعرفة الأشياء الخارجية تكون بالذهن لا بالحواس، ولكنه يؤكد أن الفكر ليس سبباً في خلق الوجود على نحو ما يراه بعض المثاليين، إذ إنه فصل بين العقل والمادة وبين الفكر والوجود كما فعل أفلاطون

رواد الاتجاه المثالي

جورج باركلي 1685-1753م:

هو أسقف أيرلندي تبدأ فلسفته بالروح والعقل، وناضل باركلي ضد المادية لأنها تتعرض للإيمان. ويعتبر من ممثلي المثالية المتطرفة لأنه أنكر في كتابه "مبادئ المعرفة الإنسانية" وجود المادة متذرعاً باستحالة إدراك الأشياء المادية. فمثاليته مثالية ذاتية ترى وجود الشيء في إدراكه وأن الأشياء ليس لها وجود مادي مستقل عن الذوات التي تدركه، وهو بهذا قريب من ديكارت في مثاليته المنهجية عندما اعتبر وجود الله هو الأساس في وجود العالم.

ويعد باركلي من رواد (المثالية السيكولوجية) أو (المثالية المادية) أو ما يسمى (المثالية الخارجية) والتي توقف وجود العالم الخارجي على الذات العارفة

إيمانويل كانط 1724-1804م:

من مشاهير الفلاسفة المحدثين، ويرى بعض المؤرخين والنقاد أنه عملاق الفلسفة الحديثة ومؤسسة الفلسفة النقدية وزعيم للمدارس المثالية الألمانية. لقد عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة لكسمبورغ، وكان جوهر فلسفته الإيمان بوجود مفاهيم قبل التجربة أو خارجة عن نطاقها وهذا ما يشبه عالم الأفكار عند أفلاطون. ويرى أن الحواس والعقل يلعبان دوراً كبيراً

في المعرفة مؤكداً مغالاة الفلاسفة العقلانيين في دور العقل ومبالغة التجريبيين في الوقوف فقط عند تجاربهم الحسية¹.

أرجع كانط كل شيء للإيمان وأن القدرة على المعرفة هي من عند الله، وآمن بخلود الروح وبالضمير الحي واعتبرها مسلّمات لفلسفته واختلف مع الفلاسفة المثاليين في جعل العقل باطناً في المادة، فالعالم الحسي لا يستطيع الوقوف على أرجله وحده فهو بحاجة مستمرة إلى أضواء المعرفة العقلية².

هيجل (1770-1831م)

ولد في ألمانيا في مدينة شتوتغارت ومارس تدريس الفلسفة في عدة جامعات، وقد اعتمد على كانط كثيراً وكان لفلسفته تأثير كبير على الكثير من الفلاسفة الماديين.

دافع في كتاباته عن وجود حقيقة خارجة عن تجارب الإنسان، وأن كل ما يفعله البشر ما هو إلا نتاج لنشاط العقل المطلق الذي يعتمد عليه عالم البشر الحسي، وهو لا يعتقد بوجود حقيقة خارج أو فوق العقل الإنساني، فكل معرفة هي معرفة إنسانية.

آمن هيجل بالتطور الجدلي للأفكار، فكل فكرة تبني على فكره أخرى أقدم منها، ويعتبر الفلسفة هي العلم الأكثر سموً للعقل فهي مرآة روح العالم. وجاءت كتاباته كرد فعل ضد المثالية الذاتية والتي تؤمن بوجود عقل مطلق في الطبيعة³.

ومن ممثلي الفلسفة المثالية أيضاً، كروتشه، جنتلي، كواريدج، وكارلايل والذين لا يتسع المجال لذكرهم جميعاً.

¹ مريم محمود الشهري، الفلسفة المثالية روادها وتطبيقاتها التربوية – اطلع عليه بتاريخ 01/07/2019

www.new-educ.com

² جعيني، نعيم الفلسفة وتطبيقاتها التربوية.. دار وائل عمان. الأردن، 2004، ص115

³ جعيني، نفس المرجع السابق ص117

المثالية النقدية

وتتسم الفلسفة المثالية لديه بأن لها صفتان رئيستان:

الأولى أنها مثالية نقدية لأنها وجهت اهتمامها إلى وضع حدود للعقل وطالبت بألا يتعدها إلا في حدود التجربة الممكنة.

الثانية أنها شارطة لأنها تضع الشروط الأولية التي تجعل التجربة ممكنة وهي شروط عقلية يضعها العقل دون الاعتماد على التجربة مثل مفهوم المكان والزمان والسببية وهي أطر عقلية تنظم المعرفة التي تأتي عن طريق حواس الإنسان.

أسس ومبادئ الفلسفة المثالية

لكل فلسفة من الفلسفات عدد من المبادئ والركائز التي بنيت عليها وفي ضوءها برزت عدد من التطبيقات التربوية لها والتي جاءت مؤكدة للنظرة الفلسفية لرواد المثالية في قضايا الوجود والمعرفة والقيم والطبيعة البشرية.

وقد ذكر مقدار يالجن¹ أن المثالية لها أربعة أسس تقوم عليها فيما يتعلق بنظرتها إلى الوجود والمعرفة والقيم والطبيعة البشرية ولها تصور خاص لكل قضية من هذه القضايا الأربعة يتلخص في النقاط التالية:

- أساس الوجود أو التصور عن الكون

المثالية تعترف بوجود عالم روحاني إلى جانب العالم المادي وينسحب هذا على وجود الإنسان وأنه مكون من المادة والروح وعنايتهم بالعالم الروحاني أكثر من العالم المادي لأن العالم الروحاني يعني المثالي هو الأساس والعالم المادي ظل له، وتستهدف الوصول بالإنسان إلى هذا العالم والسمو إليه بتربية خاصة بالتربية الروحية وتأخذ هذه التربية أكبر

¹ يالجن، مقدار النظريات التربوية في ضوء الاسلام. دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية، 2008. ط1. ص53

اهتمام من هذه النظرية من اهتمامها بالجوانب الأخرى من التربية مثل التربية الصحية والجمالية والفنية وغيرها.

ويرى مرسى أن المثالية تنظر إلى العالم على أنه عالم العقل والروح وليس عالم الواقع، وأن هذا العالم قد رسمته عقولنا وأرواحنا. وهكذا تختزل المثالية الكون بكل ما فيه إلى عنصر واحد هو "الروح أو العقل" التي يجب أن تفهم على أنها التجرد الكامل من المادية¹.

وتتظر الفلسفة المثالية أيضاً إلى طبيعة العالم نظرة ازدواجية حيث قسم أفلاطون العالم إلى قسمين:

عالم علوي سماوي (عالم الحقيقة المطلقة والمثل المطلقة): يحوي المثل العليا من الخير والحق والجمال، ويوجد فيه العدل المطلق، والحقيقة المطلقة، والقيم المطلقة، وهذا العالم أزلي خالد غير قابل للتغير، وسيظل هكذا على الدوام ولا يمكن إدراكه إلا عن طريق العقل وعالم المثل أرقى من عالم الواقع.

عالم سفلي (عالم المادة أو عالم المحسوسات): عالم الواقع المتغير، ندركه بحواسنا، وهو عالم مضطرب متحول ونهايته الفناء، عالم غير حقيقي من صنع العقل وتصوره.

- أساس الطبيعة البشرية

ترى المثالية أن الإنسان وإن كان فيه جانب مادي فالروح هي الأساس. فالروح لا تفنى وأما الجسم سوف يفنى.

"فالمثالية تنظر إلى الإنسان نظرة ثنائية، أي أنه نفس وجسم، وأن النفس جاءت من عالم المثل، وحلت في الجسم لتقضي حكماً بالسجن صدر عليها، وبعد الموت ستعود مرة أخرى إلى عالم المثل"².

¹ مرسى، محمد منير فلسفة التربية واتجاهاتها ومدارسها . دار الكتب القاهرة . مصر..1993، دط ص 164
² فرحان، محمد جلوب دراسات في فلسفة التربية، مطبعة التعليم العالي، الموصل. العراق. 1989 ص47

ووفقاً لهذه الفلسفة "فالإنسان مؤلف من جوهرين أحدهما ينتسب إلى عالم المثل وهو النفس، والآخر ينتسب إلى عالم الحس وهو البدن، وبما أن النفس من عالم المثل فهي إلهية أزلية أبدية، وهي أسبق في وجودها في البدن وتبقى بعد الموت¹.

ونجد أن أفلاطون قد فصل في النفس الإنسانية بشكل أكبر، فهو يرى أن النفس تتكون من ثلاثة أنواع من القوى أو القدرات أو الملكات هي: قوة العقل وقوة الغضب، وقوة الشهوة. وباختلاف الأفراد في القوى يختلفون في المهن التي يصلحون لها. فحيث يكون للعقل الغلبة، فصاحبه يصلح للمهن التي تتطلب الدرس والتحصيل والتفكير. وحيث تتغلب الإرادة فالمهن التي تصلح لها أعمال تتطلب القوة كالشرطة والحرب. أما حيث تسود الشهوات، فخير ما يصلح لها المهن التي تتطلب التجارة والإنتاج حيث الربح وتحقق الذات الشخصية".

ووظيفة التربية حسب هذه الفلسفة هي التنمية الروحية، وتهتم هذه الفلسفة بالتربية العقلية والأخلاقية والإيمانية، أي الإيمان بالله وبالعالم المثالي، والتربية الأخلاقية تعين الإنسان على تركية النفس والتخلص من النيات والغايات السيئة.²

- الأساس المعرفي وطبيعة المعرفة في الفلسفة المثالية

المثالية حسب فلسفتها المبدئية في تقسيم العالم إلى العالم العلوي المثالي والعالم السفلي المادي الحسي ترى أن مصدر المعرفة أساساً السماء أو العالم المثالي عالم الأرواح، وترى أن الإنسان يعني روح الإنسان قبل أن تحل وتنزل في جسم الإنسان كانت تعرف المعارف ومزودة بالمعارف ولكن لما نزلت إلى الجسم نسيت المعلومات وتذكر المعلومات بالتدريج حسب النمو ومساعدة أدوات الحواس أو أجهزة المعرفة في الجسم.

¹ ال ماهر اسماعيل المناهج الدراسية. فلسفتها، بناؤها. تقويمها. دار اليازوري. جعفري، 2010 عمان. الأردن. ص25

² يالجن نفس المرجع السابق ص55

نقد الفلسفة المثالية

الفلسفة المثالية شأنها شأن غيرها من الفلسفات تضمنت نواحي إيجابية وأيضاً تم نقد بعض تطبيقاتها. فبالنظر إلى الفلسفة المثالية كفلسفة تربوية محافظة اتسمت بالحفاظ على التراث المعرفي ونقله واعتبرت التربية هي عملية إعداد لحياة مستقبلية فإن هناك بعض النواحي الايجابية الأخرى قد أكدت تلك الفلسفة مثل:

-التأكيد على الجانب المعرفي وأهمية المعرفة بالنسبة للمتعلم.

-الاهتمام بالثقافة والحفاظ عليها.

-وضع المعلم في منزلة سامية واعتباره أهم عناصر العملية التربوية.

-التأكيد على أهمية الجوانب الخلقية والدينية في تنمية شخصية المتعلم.

- إهمال الجوانب المهارية والأنشطة الإنسانية الأخرى , والتركيز على الجانب المعرفي.
- أعلت من شأن الروح, وأهملت أمر الجسد, ولذلك فهي ركزت على المعلومات والمعارف, وجعلت لها كياناً مستقلاً بعيداً عن اهتمام الطالب وميوله مما أدى إلى انفصال التلميذ والمدرس عن البيئة الاجتماعية والمادية التي يعيش فيها كل منهما.

*أما النقد الموجه إلى المنهج المثالي فهو أن هذا المنهج مصمم من أجل صقل العقل , وصفاء الروح , ونقل التراث الثقافي.وتقدم المواد الدراسية بصورة منطقية مرتبة لكنها لا تدرس على أساس فهم العلاقات فالتاريخ مثلاً يدرس بوصفه تاريخاً أي حسب التعاقب الزمني , لا على أساس أنه منهج مشكلات الحاضر وتوقعات المستقبل, ولا يهتم أصحاب المنهج المثالي بتعلم المهارات لاعتقادهم بأن هذا التعلم يفسد التلميذ ويتلف عقليته. ولذلك فالمثاليون يضعون المنهج الدراسي ثابتاً مطلقاً غير قابل للتغيير , وذلك إيماناً منهم بأن الطبيعة الإنسانية ثابتة لا تتغير.

وهناك أوجه نقد وجهت لتلك الفلسفة من أبرزها:

الاخفاق في فهم طبيعة المتعلم؛ والنظر إليه على أنه عقل أو روح خالصة والاهتمام بالمعرفة أو تنمية العقل فقط وإهمال الجسم وكل ما يمت إليه من مناشط خارج البرامج الدراسية.

قصور في فهم وظيفة المدرسة على أنها المحافظة على التراث ونقله للأجيال التالية فالمدرسة لها وظائف أخرى بجانب الحفاظ على التراث.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

- الماهر اسماعيل المناهج الدراسية. فلسفتها، بناؤها. تقويمها. دار اليازوري. جعفري، 2010 عمان. الأردن.
- أ.هـ. أرمسترونغ، مدخل إلى الفلسفة القديمة، ترسعيدالغامني ، كلمة والمركز الثقافي العربي، بيروت ، ط1 ، 2009
- أحمد أمين قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1936،
- أحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، دار إحياء للكتب العربية القاهرة ط11 1954،
- أرسطو: علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، نقله إلى العربية أحمد لطفي السيد مطبعة دار النشر المصرية القاهرة، الجزء الأول، المقدمة، 1924، ص49. طبعة جديدة 1998،
- أشرف حسن منصور - الفلسفة الحديثة: عوامل نشأتها وخصائصها العامة : الحوار المتمدن-العدد:3213-12/12/2010-16:03 < www.m.ahewar.org
- اشرف منصور نفس الموقع السابق يطلع عبر الموقع الالكتروني السابق
- أفلاطون في السفسطائيين والتربية، ترجمة عزت قرني، دار قباء للنشر، والطباعة، دط، 2001
- أفلاطون: محاورة أقريطون الترجمة العربية لدكتور زكي نجيب محمود Plat crit 506-53c
- أميرة حلمي مطر ،الفلسفة عند اليونان، دار المعارف مصر ط2، دت،
- أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها دار قباء للنشر، طبعة جديدة 1998،

- أنطوني جوتليب، حلم العقل، ترجمة، محمد طلبة نصار، مؤسسة هنداوي، للنشر مصر، ط1، 2015.
- برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث الفلسفة الحديثة، ترجمة د/ فتحي الشنيطي، المطبعة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1977.
- بن يامين فارنتن، العلم الاغريقي، ترجمة أحمد شكري سالم، ميراث الترجمة للنشر
- توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية، منشأة المعارف الإسكندرية، ط1، 1960.
- جعفر آل ياسين: فلاسفة يونانيون، العصر الأول، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1981.
- جعيني، نعيم الفلسفة وتطبيقاتها التربوية.. دار وائل عمان. الأردن، 2004.
- جميل صليبا المعجم الفلسفي الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان،
- جيري بروتون، عصر النهضة، ترجمة ابراهيم البيلي، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة، ط، 2012
- حربي عباس عطيتو محمود: ملامح الفكر الفكري عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003
- حربي عباس عطيتو محمود: ملامح الفكر الفكري عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003 .
- حنا أسعد فهمي، تاريخ الفلسفة، تر، عقبة زيدان، دار العرب (د، ط)، سنة 2009
- راوية عبد المنعم عباس، جون لوك امام الفلسفة التجريبية، دار النهضة العربية بيروت، 1996
- رينيه ديكارت: التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة وتقديم وتعليق: عثمان أمين، المركز لقومي للترجمة، القاهرة، 2009م.
- زكي نجيب محمود، أحمد أمين، قصة الفلسفة اليونانية، دار المعارف، ط1، دتأ
- زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة لجنة التأليف والنشر القاهرة، 1999

- ش ولترستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 93 ارل فريز: الفلسفة اليونانية، ترجمة تيسير شيخ الأرض، دار الأنوار، بيروت 1968
- شارل فرنر: الفلسفة اليونانية ترجمة تيسير شيخ الأرض، دار الأنوار، بيروت 1968.
- عبد الحميد البطريق، التاريخ الاوروبي الحديث، من عصر النهضة الى مزتمر فيينا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط، 1997
- عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، ايران، ط1، دت.
- عبد الرحمن بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة
- عبد المجيد عبد الرحيم، مدخل الى الفلسفة بنظرة اجتماعية، مكتبة النهضة المصرية، ط، 1976
- عبد المنعم حنفي ، الموسوعة الفلسفية، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة تونس، دط، 1992.
- عثمتن أمين رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار المعارف مص، دطر، 1997،
- عزمى إسلام، جون لوك، دار المعارف بمصر 1964م.
- عزمي اسلام، نظرية المعرفة عند جون لوك، دار المعارف، ط1، دت.
- فرحان، محمد جلوب دراسات في فلسفة التربية، مطبعة التعليم العالي، الموصل. العراق. 1989
- فؤاد كامل وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، المركز القومي للترجمة، 1963.
- ك. بنروبي، مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا، الجزء الأول، ترجمة عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر
- م. روزنتال وب. بودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة يوسف كرم، دار الطليعة بيروت، ط1، 1984
- محمد الخطيب ، الفكر الاغريقي، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، ط1 ، 1999

- محمد طاهر آل بسير الخاقاني، نقد المذهب التجريبي، دار مكتبة الهلال، ط2008، 1
- محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، الفلسفة الحديثة،
- محمد فتحي الشنيطي، جون لوك، دراسة نقدية لفلسفته التجريبية، دار الطلبة العرب بيروت، ط 1، 1999
- محمد فتحي الشنيطي، فلسفة هيوم، مكتبة القاهرة الحديثة 1956.
- محمد يوسف موسى: تاريخ الأخلاق مؤسسة الخانجي، مصر، ط1، (ب.ت).
- مرسى، محمد منير فلسفة التربية واتجاهاتها ومدارسها . دار الكتب القاهرة مصر..1993، دط
- مصطفى النشار، افلاطون رائد المثالية، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر، 2018، ص111
- مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، الجزء الأول والثاني ، ط 2 ، 2007
- مصطفى النشار تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، الجزء الأول والثاني ، ط 2 ، 2007 .
- مهدي فضل الله " بدايات التفلسف الانساني"، دار الطليعة والنشر بيروت، لبنان، ط1، 1994،
- يالجن، مقدار النظريات التربوية في ضوء الاسلام. دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية، 2008. ط1.
- يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية ، دار المعارف، القاهرة مصر ، ط، 2015
- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939، دط،

باللغة الأجنبية:

- Descartes :Discours de leMethode ;Paris ;LibrairieDe L.Hachette 1856
- ean-François Pradeau Hiraclite : Citations et témoignages Paru le 4 avril 2018 ;
- Edrar Moran :Vivre avec Heraclite ;Edition ; Influence ;
- Gunnar Skirbekk; Nils Gilje Une histoire de la philosophie occidentale: De la Grèce antique au vingtième siècle : Editeur : Hermann, 2010,p100
- Hàris Vlavianos, Histoire de la philosophie occidentale en 100 Haïku r Centre culturel hellénique - Nuit de la littérature : 2020 p55;
- Hume, d., Enquiries Concerning human Understanding, 2nd., edit.,Oxford 1893.
- John Locke : Quelques pensées sur l'éducation ,tr !Compayé,Parie librairiephilosophiqueJ.Vrin,2007
- Locke, J., An Essay Concerning human understanding, BK. I, Ch. I, Locke, J., An Essay concerning human understanding, BK. II, Ch. I, Sec. 23,
- Metz, a hundred years of British philosophy, 1938
- Michel-de-Montaigne Humanisme, scepticisme ;

مواق الإلكترونية:

- كَتَّاب سطور - آخر تحديث: 08:54 ، 14 يناير 2020
- ماذا تعرف عن النزعة الإنسانية ؟ - المكتبة العامة maktaba-amma.com
- مريم محمود الشهري، الفلسفة المثالية روادها وتطبيقاتها التربوية - اطلع عليه بتاريخ 01/07/2019 د www.new-educ.com
- النزعة الإنسانية.. تاريخها وأطوار نشأتها، الفضاء المشرقي للفلسفة، اطلع عليه عبر الموقع، Posted by zkhani on، فبراير 21, 2013